عبد القادر أحمد عطا



بين الحقيقة والخرافة


المهدي المنتظر
بين الحقيقة والخرافة

عبد القادر أحمد عطا



الطبعة الأولى

١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعــد .

فما زالت فكرة المهدى المنتظر تسيطر على عقول الناس علمائهم وجهالهم ، ويدعيها أناس لا يتقدمون خطوة واحدة فى سبيل الاصلاح ، وقامت وما تزال تقوم جماعات الحادية تنتحل هذا الاسم وهذه الصفة . وما زال الطامعون يستغلون البسطاء تحت هذا العنوان لضرب أمم الاسلام ، وآخر ذلك قصة احتلال الحرم المكى الآمن باسم المهدى المنتظر . وما زال الجهلة يعتقدونه على صورة من صور الدراويش لا تبدىء ولا تعيد فى بناء الاسلام .. وما زال البعض يعتقده فى فئة انعزلت عن جمهور الأمة بمعتقداتها وأسرارها .

بين هذه الدوامة العاتية كان لابد من القــاء الضوء على أبعاد هذه القضية وتقرير وجه الحق فيها ، وتسليط الأضواء على جماعات الالحاد التى نشأت فى ظلها وتحت دعواها .. فلعل فى هذا بلاغا لشبابنا الناهض المحب للاسلام ، واسهاما فى توعية الأمة بموضوع من غوامض ما يصادفهم فى ثقافة الاسلام .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيه .

عبد القادر أحمد عطا

فتنـــة في الحـــرم الأمـــين

طالعتنا الأنبـــاء فى أول ليـــلة من آخر عام فى القرن الرابع عشر الهجرى بأن مجموعة من المسلحين اقتحمت البيت الحرام بأسلحتها وعتادها ، وأطلقوا النار على حراس البيت وحجاجه دون تمييز ولطخوا أرض الحرم بالدم الحـــرام ، واعلن رئيسهم أنه المهدى المنتظر المبعوث ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا .

ومهما كان الدافع الى هذا العمل فهو فى حكم الشرع عدد من الجرائم الكبرى المتشابكة ، والتى لا تقل احداها عن الاخرى بشاعة وشناعة .. فهو هتك لحرمة البيت وقدسيته ، وسفك للدم فى الحرم الآمن ، وترويع للمسلمين وهم يؤدون الفرائض ، وصد عن سبيل الله بنشر الفزع فى مكان شرعت اليه فريضة الحج ، واستغلال للدين ومقدساته فى تحقيق الأغراض الشخصية .

هذه خمس جرائم كل منها كفيل بالضرب بأقسى يد من اصلب حديد على رءوس هؤلاء المارقين ورءوس من حرضهم ، ومن آواهم أو يؤويهم أو يتعاطف معهم ومن أمدهم بالسلاح ، مهما بلغت النتائج ، لان مثل هذا القمع الموجه اليهم هـــو صلب أعمال العبادة الخالصة ، بل هو اشرف جهاد مقدس

تشترك فيه أمم الاسلام مجتمعة اذا احتاج الأمر الى حرب دولة كبرى أو صغرى كان لها ضلع فى هذه الجريمة النكراء ، حتى ولو كانت هذه الدولة تدين بالاسلام فى ظاهرها ، لأنها بهذا العمل قد خرجت عن الاسلام أو لفظها الاسلام الى دنيا الكفر والنفاق .

وهذا العدوان على بيت الله الحرام هو العدوان الثالث بعد الاسلام . وكان الأول على يد الحجاج بن يوسف حين احرقها وقذفها بالمنجنيق دفاعا عن سلطان عبد الملك بن مروان ضد عبد الله بن الزبير ، وابن أسماء بنت أبى بكر ، وابن حوارى رسول الله صلى الله عليــه وسلم وهو الزبير بن العوام .

وكان الثانى على يد الشــيعة القرامطة الذين خربوا البيت وسرقوا الحجر الأســود ، ونشروا الرعب والفــزع لأهداف سياسية يطول شرحها .. وهذه هى المرة الثالثة على أيدى أناس قيل : انهم عرب خلص ، وقيــل : انهم مختلطون من عرب وغير عرب ، ولكن يد الشيوعية على أى حال وراء هذا الحدث دون نزاع ولا جدال .

أما أن يدعى هؤلاء المجرمون أنهم فعلوا ما فعلوا بدافع الغيرة على الاسلام ، وبقوة داخلية من الشــعور بالسلفية المحافظة ، فهذا محض افتراء ودجل وتزييف .. فما كان من طرائق أشد السلفيين تحفظا فى الدين ان يثوروا على حكامهم اذا خالفوهم فى الرأى ، ولكنه النقاش بالحسنى ، وابداء النصح السديد ، ولا شىء غير ذلك . ولعل فى سلوك

ابى ذر الغفارى حين عرض عليه الناس الثورة ضد عثمان رضى الله عنه وقوله : ((لو صلبنى عثمان على أطول جذع لسمعت وأطعت)) ولعل فى سلوك الامام احمد حين عرض عليه بعضهم الثورة على من ضربه وعذبه ، ونصحه لهؤلاء بعدم التفكير فى الثورة على الحاكم مادامت الصلوات تقام ، وروايته للأحاديث الصحيحة الآمرة بذلك — لعل فى ذلك وأمثاله ما يدمغ هؤلاء المخربين بالكذب والبهتان .

وأما أن يكون هؤلاء المخربون من أهل الغيرة على الاسلام ، فالغيرة الحقة ميادين غير السعودية وغير البيت الحرام يمكن أن ينفس فيه هؤلاء عن فوران غيرتهم .. هناك ميدان الجهاد الشريف فى أفغانستان ضد الملاحدة ، وفى تشاد وفى الفلبين ، وفى الحبشة ، وفى قلب الاتحاد السوفيتى حيث يعانى المسلمون من عسف الحمر الأفاكين ، وفى عدن حيث تحولت الى دولة يعيش مسلموها تحت لواء حكومة كافرة توالى الأم وأسفل من عرفت الأرض من اباطرة الكفر .. هذا هو المتنفس الصادق للغيرة الاسلامية ، أما أن يكون هذا المتنفس وفى بيت الله الحرام الآمن ، فهذا ما لا يدخل فى اطار أى عقل فى الوجود .

ان هناك دولا كثيرة يجب ان يهوى اليها قلب المسلم الغيور المحب للشهادة فى سبيل الله ، منها ما يجاهد الكفر والالحاد بالفعل ومن أمثلته ما عرضناه ، ومنها ما يستحق خلق المتاعب والأهوال فى جنباتها لأن حكامها قد وضعوا ايديهم فى أيدى الشيوعية ، وتآمروا معها ضد الاسلام ، ومنها سوريا وليبيا والعراق وعدن وأمثالها :

وعلى اية حال فلهذا الحديث الجلل دلالات كثيرة منها ما هو نبع فياض للسرور والحبور لكل المسلمين ، ومنها ما هو بؤرة حزن وألم للغيورين المخلصين .

فالذى يثلج الصدور هو ان اصطناع المتآمرين لشعار الاسلام ، وانتفاضاتهم تحت اسمه ولوائه فى صورة تشوه سماحة الاسلام ، وتمسخ صفاءه ونقاءه ورحمته الفياضة على العالمين ، هذا السلوك دلالة على أن الاسلام فى نظر أعدائه ما هو الا عملاق بلغ من العظمة والضخامة حدا عجزوا عن مقاومته الا بهذا السلاح التافه والرخيص من التشويه وهم يحسبون أنهم سينالون منه قليلا أو كثيرا ، ولكنهم بهـذا الحسبان واهمون مخدرون بأحلام الفراديس الموعودة التى لم تتحقق ولن تتحقق الى أبد الآبدين ، خائفون فزعون قد انخلعت قلوبهم من أماكنهـا فهى تنتفض انتفاضة الذبيح على غير هدى .

نعم ، ان التصاق أعداء الاسلام بالاسلام مضافا الى تشويهه فى قديم الزمان ، وتلك الملل والنحل التى جمعهـا الشهرستانى فى مؤلف ضخم حجة على ما نقول ، وتدفعهم الى محاولة تشويهه فى حديث الزمان فى صـورة ظاهرها جديد ، وباطنها وثيق النسب بالمحاولات القديمة ، وقد بقى الاسـلام السنى صامدا شامخا ، وسـوف يبقى شامخا صامدا ، وسوف تتحطم على حصونه المنيعة كل الادمغة وكل الأسلحة التى تحاول الاقتراب من جنابه المقدس .

ونعم ، ان التصاق أعداء الاسلام بالاسلام مضافا الى تلك النداءات المتكاثرة التى تنادى بالعودة الى الاسلام دليل

مادى واضح على الناس كل المذاهب والنظريات التى تدعى انها تقوم لنشر العدل والسعادة بين بنى الانسان ، فلم يعد الا الاسلام الذى جربته البشرية فنعمت فى ظلاله حتى أزاحته ايدى العابثين فذاقوا وبال الامر الى يومنا هذا .

واما ما يحزن القلوب ويدميها من واقع النظرة الأفقية فى عالم المسلمين من أصحاب النوايا الحسنة فهو امران :

اولهما : حيرة شبابنا المتطلع الطموح الى معرفة اسلامية واضحة صافية بين تيارات متناقضة من المعارف الموغلة فى التشـــدد والتنطع حتى انخلت الخرافة فى اطار معـــارف الاسلام ، أو المتقدمة فى التساهل والانكار حتى أنكرت كثيرا من الغيبيات باسم مقاومة الخرافة ، وكثيرا من التشريعات باسم العصرية والتقدمية ، وحار شبابنا النظيف الطاهر بين شيوخ يقولون بهذا وشيوخ يقولون بذاك ، وكلاهما ناكب عن صراط الله وهو الوسط الذى استحقت به الأمة أن نكون خير امة اخرجت للناس .

ولكى يحكم الملاحدة الحصار حول الشباب خرجوا عليهم بنحلة جديدة تجمع بين الفريقين الخارجين عن الاسلام هى نحلة ((الشيوعى المسلم)) . وأصبح المنجل والمطرقة شعارا لمساجدهم ، وظنوا أن الناس يمكن ان يصدقوا ان هنـــاك مسلما كافرا فى آن واحد . ولكن اندفاع الشباب اوقع البعض فى هذا الشرك القاتل .

الثانى : ان شبابنا حين يبحث عن الوسط الحق بعد

حين فانه يصطدم بعقبات شديدة من عقول المفكرين التى تتحرك حول نفسها ، فلا تملك القدرة على الحركة الفلكية التى تجمع بين الحركة حول نفسها ، وحركة أخرى على مسار بعيد من المقارنات وربط الأحداث واستنباط النتائج .

كان مثل هذا العقل قليل الوجود بالنسبة لاعداد شباب الاسلام الهائلة ، ولم تستطع تلك القلة أن تستوعب هذه الكثرة ، فاستمر الكثير من الشباب أسيرا لنوعية من المعرفة الاسلامية لا تتحرك الا فى اطارها القديم .

نعم ... ان أصحاب هذا الفكر مخلصون لا يشك فى دينهم ، ولا فى ولائهم للاسلام ، ولكنهم لا يتحركون بعقولهم حركة اسلامية خالصة تناسب تطلعات الشباب وطموحه فى عصر يذهلنا بما هو متقدم فى العلم والاختراع .

وأقول حركة اسلامية خالصة لأن الكثير منهم اراد ان يكون هكذا فخلط وأخذ يردد المقارنات بين المذاهب الاصلاحية فى الاسلام وغيره من المذاهب الوضعية ، ويزيد عليها جديدا يوهم به التجديد هو : أن يملأ كتابه بالمصطلحات الأجنبية باللغة الأجنبية ظانا أنه بهذا يخدم الاسلام وهو على عكس ما يريد .

هل من المعقول أن يملأ المهدى الارض عدلا فى سبع سنين ولا يملؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم عدلا فى ثلاث وعشرين سنة ؟!!.

هل من المعقول أن يبشر الرسول صلى الله عليه وسلم بمهدى لا يدرى من أى صنف يكون ، فهو عباسى ، وهو من

علمة الأمة ، وهـــو من آل البيت ، وهـــو خليفة ، وهو مهـــدى ؟ !!

هل من المعقول ان يبشر الرسول صلى الله عليه وسلم بمصلح كل همته المال وملء الجيوب به حتى لا يجـــد من يأخـــذه ؟ !

هل من المعقول أن يبشر بمصلح يرفض اخذ المـــال من رجل بعد ان اعطاه اياه لأن الرجل يخشى على دينه من المـــال ؟ !!

نقول هنا ونقرر ان حادث المسجد الحرام قد شد انظار المسلمين وقلوبهم وعقولهم الى الاســـلام فى عنف ، وفتـــح اسماعهم وابصارهم على ما يحاك حولهم من مؤامرات أرجو الا تكون أكبر من تفكير المفكرين الذين يتحركون حول انفسهم ، اذ لابد أن ينطلقوا كما قلت فى حركة فلكية واسعة ، فان لم يستطيعوا فليريحونا من صداع الراس بالمكرر من الكلام ، وليوفروا أوقات المطابع لتتفرغ للنافع المفيد من المعرفة .

يا مفكرى الاسلام ضحوا ببعض صحتكم ، واقصروا ساعات نومكم ، وتدربوا على خوض معارك الفكر بين المراجع الكبرى وبين مخطوطات التراث ، فلا يكفى أن تكون مصادرنا هزيلة هزال معارفنا .

ويا شباب الاسلام اقرا قبل ان تتحرك ، فاول ما نزل من القرآن (اقرا) . ولا تجعل العصبية حاكما على عقلك ، فلن يصلح شأن الشباب لقيادة الشباب الا بعد أن يحكم عقد

المعرفة ، والمعرفة تحتاج الى جهد طويل وسهد وبذل ..
لا يكفى ان تقرا عبارة مثيرة هنا او هناك فتطوى أوراقك
وتستعد لخوض معركة الاصلاح ، لانك ستقع فيما وقع فيه
هؤلاء الأوغاد الذين انتهكوا البيت الحرام .

ان سلفك الطاهر كان يجلس مبكرا للافتاء ، ويقود
المعارك ضد الأعداء ، ولكن بعد أن يكون قد اتقن علمه ومعرفته
بالاسلام الصحيح ، لا الاســلام المفهوم من كتابات الصحف
وهزيل الكتب ..

فلتكن اهلا للدعوة قبل أن تكون مجاهدا باسم الاسلام ،
والله المعين والموفق والهادى الى صراطه المستقيم .



جذور المهدية عبر التاريخ

فى التـــوراة :

ترجع الفـكرة فى ذاتهـا الى نصوص فى الكتب السابقـة على القرآن ، تبشر بظهور « مخلص » يثبت دعائم دين الله ، ويهيىء الناس للرشد والفهم الصحيح لمقاصد الله تعالى من ايجاد العالم وارسال الرسل ، وتأسيس نظام الحياة الذى يقوم على شريعة الله .

والبذور الأولى لهذه الفكرة نجدها فى التوراة . ففى سفر أشعياء « ويكون فى آخر الأيام أن بيت الرب يكون ثابتا فى رءوس الجبـال ... وتسير اليـه شعوب كثيرة ويقولون : هلم نصعد الى جبل الرب ، الى بيت اله يعقوب يعلمنا من طرقه ، ونسلك فى سبيله ، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن أورشليم كلمة الرب ، فيقضى بين الأمم ، وينصف شـعوبا كثيرين ، فيطبعون سيوفهم سككا ، ورماحهم مناجل ، لا ترفع أمة على أمة سيفا ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد — ٢ : ٢ — ٤ » .

وزكريا يقول : « لأن يوم الرب قادم ... لم يكن له نظير منذ الأزل ، ولا يكون أيضا بعده الى سنى دورفدور .. فتأكلون

أكلا ، وتسبحون اسم الرب الهكم الذى صنع عجبا » وكذلك انظر « أشعياء ١٥ : ٧ — ٢٥ وزكريا ٩ : ١٠ وزكريا ١٤ : ٩ و ٨ : ٢٠ وما بعدها وصفنيا ٣ : ٩ وميخا ٤ : ١ — ٥ » . وكلها تبشر بظهور مخلص ينشر المحبة بين الناس ، ويقيم بينهم شريعة العدل ، ويعلى ميزان الصلاح والمحبة على ميزان التفاضل فى المال الذى يدفع الى العداوة والشحناء . وهذا المخلص الموعود كان هو السيد المسيح الذى انتظره اليهود ليخلصهم مما أغرقهم من طوفان البلاء والاذلال .

ولقد رفض اليهود المسيح عليه السلام ، لأنه لم يكن على ما تهوى نفوسهم ، ولا مطابقا للشروط التى كتبوها عن مخلصهم ومسيحهم ، وهى : أنه يظهر ومعه سيف ، ولم يكن مع المسيح سيف . وأنه يجلس على كرسى داود ويؤسس مملكة باسمه ، ولم يكن المسيح يملك حصيرا يجلس عليها . وأنه يؤيد شريعة التوراة كما هى ، ولكنه كسر يوم السبت .. وبقى اليهود ينتظرون « المسيا » المخلص الذى يتيح الفرصة لسيادة شعب الله المختار على العالم كله .

ورفضوا خاتم الرسل محمدا صلى الله عليه وسلم لنفس السبب الذى رفضوا من اجله المسيح ، اذ كان يبشر بالأخوة الانسانية على مستوى العالم ، لا فرقَ بين جنس وجنس ، وهو الأمر الذى يتعارض مع مبادئهم العنصرية التى تقوم أساسا على الشعب المختار ، والدم المختار ، ولكنهم بدأوا يفكرون فى خطة طويلة المدى ، يواجهون بها العالم فى حياتهم العنصرية ، وكانت تلك الخطة هى : انتظار « المسيا » من نسل داود ، والذى يقيم مجد

هيكل سليمان ، وحكم اسرائيل العالمى ، وكان من عناصر الخطة الجهنمية : اعداد العالم لتقبل أفكارهم ، وذلك بالدعوة الى وحدة الديانات والشعوب فى اطار الجماعات السرية التى يعملون من خلالها على تحقيق مآربهم من وراء ستار الأفكار الدينية ، واهمها فكرة المخلص « المسيا » الموعود .

فى الانجيـــــل :

وكان فى أقوال المسيح ما يبشر بظهور مستقبل لملكوت الله . ففى انجيل متى « منذ ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ــ ٤ : ١٧ » وفيه « ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض ــ ٦ : ١٠ » وفيه « اسهروا لأنكم لا تعلمون فى أى ساعة يأتى ربكم ٧ : ٩ » .

وبهذه النبوءات وأمثالها أخذت فكرة المجىء الثــانى تحتل مكانا ممتازا فى المسيحية ، وكانت موضوعا للرؤى التى اختتم بها العهد الجديد ، وارتبطت بأسماء كثير من آباء الكنيسة الأولين ، أمثال « بابياس » و « ايرانيوس » و « جستين مارتير » و « ترتليان » .

وقد استبدت فكرة مجىء المخلص مرة ثانية بالنـــاس نحو ثلاثة قرون ، ثم فترت أيام قسطنطين حوالى القرن الخامس ، ثم بدأت الفكرة تستعيد مجدها فى القرن الرابع عشر فى عهد النهضة والاصلاح الدينى ، ودخلت فكرة الدينونة والحساب الى الفنون ولا سيما الرسم والشعر .

وفى القرن الثامن عشر ازدهرت الفكرة بين رجال الفــكر

المسيحى ، ومنهم « بنجل » و « شارلزوزلى » . وازداد اهتمام المسيحيين بالفكرة بعد الثورة الفرنسية ، ورغم أن هذه الفكرة كانت خاصة بالبروتستانت ، الا ان معظم الطوائف المسيحية ان لم يكن كلها قد آمنت بها ، واثارت حماستها ، وجاهر بها جماعـــة « الأرفنجيين » و « الأدفنتست » وان كان الأدفنتست وهم « السبتيون » ما زالوا يتعلقـــون ببعض الأهواء اليهـــودية كاستمساكهم بالسبت . وروج لها بعض رجال الدين الكبار فى أوربا مثل « دليتش » و « جودت » و « ترنش » رئيس الأساقفة ، والأسقف « اليكوت » وغيره ، بل انهم ذهبوا الى تحديد موعد المجىء الثانى بعام ١٧٨٥ م ، وحدده « وليم ملر » بعام ١٨٣٤ ، و « كمنج » بعام ١٨٦٦ .

فى القـــــرآن :

ليس فى القرآن كله ما يشير الى ظهور نبى أو رسول أو رجعة مهدى أو مصلح فى اطار الاسلام له شأن الظهور الثانى كما هو فى التوراة التى كانت بشارتها فى الحقيقة بظهور المسيح ، ولا كما هو فى الانجيل الذى كان يبشر برسول بعد المسيح .

وكل ما فى القـــرآن حديث موجـــه الى جماعـــة المؤمنين ، وعن جماعة المؤمنين ، وقانون ثابت لقيام الحضارات وازدهارها تحت سلطان شريعة الله ، وتدهورها ودمارها ان حادت الجماعة عن طريق الله ، وأمر بأن يكون الله ورسوله أحب الى جماعة المؤمنين من الأهل والمال والعشيرة والتجارة بل ومن أنفسهم ، حتى يكونوا أنصار الله ، ومن ثم يواليهم الله تعالى بنصره .

وليس فى القرآن ما يدل على حدث سياسى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم له صلة بجماعة المؤمنين الا ما جاء فى أول سورة الاسراء قاطعا بأن النصر فى النهاية سوف يكون لجماعة المسلمين ، وذلك فى قوله تعــالى : **(وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا . ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) .**

فهذا النص الكريم يحصر الصراع العالمى بين فريقين : هم بنو اسرائيل من جهة ، وأهل الأرض من جهــة اخرى ، ويؤكد أن هناك جولتين بين الفريقين ينتصر فيهما بنو اسرائيل ، ويؤسسون حضارة كبرى ، عبر عنها القرآن بلفظ **(علوا كبيرا)** . وأنهم سوف يفسدون فى كلا الحالين ، وسيكون تأديبهم فى المرة الأولى على أيدى عباد أولى بأس شديد ، وفى المرة الثانية **على ايدى اهل المسجد .**

ولندع اقوال المفسرين الذين اكدوا أن المرتين قد مضـــتا من قديم الزمان ، فهى أقوال يبطلها الواقع ، فالمرة الأولى كانت أيام هيكل سليمان ، وهى فترة يصدق عليها التعبير القرآنى بالعلو الكبير ، والعباد الذين جاسوا خلال الديار هم بختنصر وجيشه الذين خربوا الهيكل ودمروا حضارتهم .

أما المرة الثانية **فما تزال احداثها تجرى على سنن الحكمة الالهية .** والا فليوقفنا اي مخلوق في الدنيا على دورة تاريخيـــة

لليهود كانوا فيها اكثر اموالا وبنين وانصـــارا من الأمم الأخرى بعد تخريب الهيكل غير الايام التى بدأت من احتلال فلسطين ، وكيف كانت دول العـــالم مجتمعة تسير فى طريق تحقيق آمالهم واهوائهم ، لم يحدث ذلك فى التاريخ الا فى هذه الفترة ، ومن ثم فهى المرة الثانية المذكورة فى النص بلا جدال .

اقول هـــذا ، لأن النصر الموعود للمؤمنين انما هو لأهـــل المسجد ، وهم امة الاسلام دون اشارة الى فرد من الأفراد لا بالصفة ولا بالاسم هو الذى يقـــود المؤمنين الى معنى قوله تعـــالى : **(فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا)** . والمرة الأولى التى دخل فيها المسلمون المسجد كانت أيام عمر بن الخطاب ، فيلزم عليه أن يتطابق التشبيه بين فريق عمر ، والفريق الذى تجرى على يديه هذه البشارة ، يتطابق فى الســـلوك والايمان والفداء والبساطة والاندفاع الى حب الله ورسوله ودينه . أما من هو الذى يقوم بهذا العمل ؟ متى يكون ؟ فهذا ما لا تجيب عنه الآية الكريمة . فكل من يسهم فى ايقاظ الأمة ، وردها الى طريقها ، وتبصيـرها بما ينتظرها من مهام جسام ، وتنبيه اولى الأمر الى خطورة الحيدة عن طريق الله فهو المصلح المرتجى ، وليس شخصا واحدا بذاته يقوم بذلك فى هذا العصر الذى صمت فيه الآذان وغلفت القلوب .

بداية فكرة المهـــدى فى الاســـلام :

حينما بدأ الصراع بين أمير المؤمنين على رضى الله عنه ومعاوية رضى الله عنه ، كان الصراع فى الحقيقة بين المحافظين وعلى رأسهم

الامام ، والمتحررين وعلى رأسهم معاوية . وبرز فى وسط المعركة ناس ارادوا أن يضفوا على الامام صفة غريبة عن دين الاسلام ظنا منهم أن ذلك يروق للامام كما يروق لغيره من الحكام ، فأعلن عبد الله بن سبأ اليهودى أن روح الله حلت فى على . ولكن الامام كان أحرص على دينه من حرصه على أى اعتبار آخر فتتبع هذه الفرقة وأبادها حرقا بالنار .

ولكن المؤامرة كانت أوسع وأخطر .. فتناقل هذا القول ناس آخرون وسموا انفسهم « شيعة على » . وتظاهروا بحبهم لآل البيت ، ولكن زين العابدين بن الحسين أعلن رأى آل البيت فى شيعتهم بقوله الذى نقله أبو نعيم فى حلية الأولياء : « لقد أحببتمونا حتى صار حبكم علينا عارا » .

وأمعن القوم فى نسج هالة عجيبة حول الامام ، فقد كانت له عمامة تسمى السحاب ، ورآه النبى صلى الله عليه وسلم يلبسها فقال : « هذا على فى السحاب » : فأخذ الشيعة هذا القول وقالوا ان عليا قد صعد كما صعد عيسى وسيعود فى السحاب وادعى غيرهم أن موعودهم سيظهر فى السحاب . وادعوا أن الشيخين أبا بكر وعمر اغتصبا الخلافة منه ، فسبوهما وسموالذلك بالرافضة . ونسبوا الى الشيخين أمورا أعجب من الخيال ينتقصونهما بها ، واثبتوها فى كتاب ضخم من عشرة مجلدات يوزع مجانا فى هذه الأيام فى مصر اسمه « كتاب الغدير » .

وتمضى الايام ، ويضع الشيعة نظاما للامامة ينتهى الى الامام الثانى عشر الذى اختفى ، ويستعد للعودة ثانيا ، وسيبشر به المهدى ، أو هو المهدى ، على اختلاف بينهم فى ذلك . وبدأت

الفكرة تستقر فى وجدان العامة رغبة فى الخلاص من الاضطرابات والآلام التى سادت دولة الاسلام ، وادعت كل قبيلة ان المهدى منها ، وتنافس بنو العباس مع العلويين فى فكرة المهدى ، واطلق اسم المهـدى على الخليفة العباسى ، واضطهد العلويون وبلغت الأمور ذروة الخطر حينما اتخذت فكرة الاصلاح ، او فكرة المهدى القائم أو المنتظر مظهرا الحاديا صريحا على أيدى الفاطميين الذين التصقوا زورا بآل البيت وانتسبوا اليهم ، بينما جميع اعمالهم تفضح زورهم ، وتكشف بالمقارنة البسيطة بينهم وبين آل البيت الصرحاء عما يبطنونه من زيف وبهتان وعداء صريح للاســلام ، وما كان آل البيت فى يوم من الأيام على هذه السجية المتسفلة التى دان بها الفاطميون الأدعياء الذين اخترعوا دينا جديدا يعارضون به الاسلام ، ويستبطن فى اطوائه فكرة الرجعة والمهدى المنتظر .



اصـــل الفاطميين :

صدر فى أصل الفاطميين الذين استبطنوا فكرة المهدى ، وتسمى اولهم بالمهدى فتوى بنسبتهم الى ديصان الثنوى اليهودى بن سعد الخرقى ، وصدق على هذا المحضر أعيان علماء بغداد ، ومن بينهم الرضى وابو حامد الاسفرايينى ، وابو الحسن القدويرى ، وصدرت فتوى أخرى ايدها ابن خلدون وابو بكر الباقلانى بأنهم من ولد الزهراء رضى الله عنها ، واستدل لذلك بنفوذ أمرهم وقيام دولتهم ، وطعنت هذه الفتوى فى سابقتها بأنها حررت فى بغداد وفيها العباسيون اعداء الفاطميين .. ومن العجيب أن الفتوى المؤيدة لنسبهم هى الأخرى حررت فى المغرب وهم شيعة الفاطميين .

واذا اسقطنا الشهادتين ، فاننا نذكر تلك الواقعة لعلها تلقى ضوءا على الحقيقة وهى انه رفعت الى امامهم على المنبر رقعة فى القاهرة وفيها :

انا سمعنا نســبا منكرا
تلى على المنبر فى الجــامع
ان كنت فيما قلته صادقا
فانسب لنا نفسك كالطائع
أو كان حقــا كل ما تدعى
فاعدد لنا بعد الأب السابع

فرمى الامام المهدى الورقة من يده ولم ينتسب بعدها كما كانت عادته كل اسبوع ان ينسب نفسه الى فاطمة على المنبر . فلو كان نسبه حقا لنشره على الناس مفصلا ، وهو يعلم ان المصريين يحبون آل البيت حبا منقطع النظير .

اقول هذا لان الفاطميين هم جمهور المشايعين لفكرة المهدى ، وقد ادعوا أمرا عظيما انهم بنو فاطمة الذين نطقت الاحاديث بأن المهدى منهم ، وما كان لآل البيت ، وما علمنا من سيرة الأسلاف الطاهرين منهم ان يخترعوا دينــا جديدا ــ بمعنى كلمة دين ــ له اصوله وعقائده وفروعه ، ويطعنوا دين الاسلام ، دين محمد صلى الله عليه وسلم ، واليك البيان :

دين الفاطميين :

اول الطامات : ان العزيز ابا منصور نزار العلوى الفاطمى صاحب مصر فى خلافة المقتدر العباسى استوزر عيسى بن نسطور

القبطى ، ويعقوب بن كلس اليهودى . وكان ابن كلس هذا هو المعلم السرى للديانة السرية للفاطميين . وقد فصلها المقريزى فى خططه تفصيلا طويلا ، وكلها تقوم على سلخ المسلم من عقائده الغيبية الى الفلسفة العقلانية على درجات سبع ، لكل درجة منها تعاليمها ، حتى تنتهى الدرجات الاباحية المطلقة ، ولم يكن الحاد ابن كلس وامامه شيئا بعيدا عن افهام المصريين ، يدل على ذلك أن شاعرا اسمه الحسن بن بشر الدمشقى كان بمصر هجا يعقوب بن كلس وامامه بأبيات قال فيهـا :

قـل لابى نصر صاحب القصر
والمتـأنى لنقض هـذا الأمر
انقض عرا الملك للوزير تفـز
منـه بحسن الثنـاء والذكر
واعـط وامنع ولا تخـف أحـدا
فصاحب القصر ليس فى القصر
وليس يدرى ماذا يـراد بـه
وهـو اذا درى فمـا يدرى

فشكاه ابن كلس الى العزيز فقال له : هذا شىء اشتركنا فيه فى الهجاء ، فشاركنى فى العفو عنه . وعاود الشاعر الهجاء معرضا بالحاكم الفاطمى وبوزيره القبطى قائلا :

تنصر فالتنصر دين حـق
عليـه زماننـا هـذا يدل
وقـل بثلاثة عـزوا وجـلوا
وعطل ما سـواهم فهو عطل
فيعقـوب الوزير اب وهـذا
العزيز ابن وروح القدس فضل

وانتهى الأمر بالشاعر الى القتل ، وما يهمنا فى هذه الواقعة هو أن ما كان يجرى حثيثا من محو رسوم الاسلام واحلال الدين الجديد مكانه كان يجرى بعــلم الخليفة الفاطمى وعلى سمعه وبصره .

ومضت الايام ، وتولى الحاكم بأمر الله ، واستوزر حمزة ابن على ، وتقول المصادر أن حمزة هذا هو الذى وضع أصول الدين الجديد ، ولكن سابقات يعقوب بن كلس ، ودروسه المرتبة فى هذا الدين تبطل هذه الدعوى ، وتثبت أن حمزة نسج على ما كان ينسج عليه يعقوب اليهودى بلا جدال ، ولكن حمزة هو الذى جهر بهذا الدين ووضع القواعد لكتمانه الا عن أهله فيما بعد .

اتخذ دين الفاطميين الجديد طريقه الى العامة باغراء المال فى أوائل القرن الخامس ، وبالغ أصحابه فى كتمانه ، وغلق جميـــع الابواب دونه ، ولكن الباحثين القدامى عثروا علىبعض المؤلفات فى هذا الدين الجديد ، ومنها كتاب المشاهد والاسرار ، والرد على النصيرية ، والشافيـــة لنفوس الموحدين ، والأسرار ومجالس الرحمة ، وغيرها (انظر التاليد فى مذهب اهل التوحيد لميخائيل شاروبيم ص ٥) . وفى هـــذا الدين مخطــوطات بالمكتبة الاهلية بباريس ، والمكتبة البابوية بروما ، والمتحف البريطانى بلندن .

وأســـاس دينهم هـــو التناسخ فى الأرواح ويمكن اجماله فيما يلى :

١ ــ الله واحد لا تدركه العقول ، وهو غير قابل للتعريف .

٢ ــ ظهر الله للبشر مرات عديدة فى ناسوته ، ثم ظهر لهم

أخيرا باسم الحاكم ، فعمل من الاعمال مالأيدركه العقل البشرى ، واعماله كلها حكمة واسرار عجيبة ، ثم اختفى فلا يظهر الا فى المجىء الأخير لتأييد دين التوحيد ، وديونة الجاحدين (التاليد ص ٦ ، ٧) .

٣ ـ الوهية الحاكم ثابتة بأعماله ، ولو كانت بحار الأرض مدادا ، واشجارها أقلاما لما كانت كافية لتدوين كلمات الله . والله هنا هو : انسانية الحاكم ، هكذا يقول حمزة بن على فى رسالته المسماة (السيرة المستقيمة) . .

٤ ـ ناسوت الحاكم لا يفارق لاهوته طرفة عين ، بل هما متلازمان أبدا ، وقد وضعوا أسئلة واجوبة تدل على نحلتهم ومنها :

س : كم مرة ظهر مولانا الحاكم بالناسوت ؟

ج : عشر مرات بأسماء عشيرته .

س : اين وقع الظهور والكشف الاول ؟

ج : فى الهند فى مدينة اسمها (تشانش) .

س : أين ظهر البار ، او البارى ؟

ج : فى فارس فى مدينة أصبهان ، وعلى ظهر فى اليمن ، والمؤثل فى المغرب ، والقائم ظهر فى المهدية فى المغرب ، ثم جاء مصر ، وأبو زكريا والمنصور ظهرا فى المنصورية .

٥ ـ حمزة بن على عندهم هو ظهور العقل ، وعند ظهوره بين البشر سمى (آدم الصفاء) وكان له وزيران فعصيا ، فسمى

أحدهما آدم العاصى ، والأخر آدم الناسى . ولما ظهر العقل للمرة الأولى ظهر ناسوت الاله باسم البار ، أو البارى .

٦ ــ وفى كتاب (كشف الحقائق لحمزة بن على) أن الله خلق من نوره شخصا كاملا هو الارادة ، **وسماه العقل ، فكان كامل النور والقوة ، وجعله امام الائمة** فى جميع الازمنة ، والعقل يأكل ويشرب ، وهو علة العلل ، **وهو نقطـة البيكار ، يحـكم على الارضيات والروحيات** (قارن بما كتبه المقريزى عن تعاليم يعقوب بن كلس فى الخطط) .

٧ ــ الوزير حمزة بن على له حالة روحية مجردة من الشخص الذى ظهر به للناس ، ومن أسمائه : السابق ، وزومعة ، والارادة ، والعقل الكلى ، **وقائم الزمان ، والباب** (قارن بلقب الباب السابق على ظهور بهاء الله) . وعلة العلل ، والكلمة ، والجناح . الى آخر ما ورد فى كتاب التاليد ص ١٤ ، ١٥ .

٨ ــ فى كتاب التحذير والتنبيه لحمزة بن على يقول : (انا اصل مدعيات المولى ، انا صراطه ، والعارف بأمره ، والطور ، والكتاب المسطور ، والبيت المعمور ، وصاحب البعث والنشور ، والنافخ فى الصور ، **والناسخ للشرائع كلهـا ومبطلها ، ومهلك العالمين ، والنار الموقدة ص ٧٨) .**

٩ ــ وفى اسئلة واجوبة وردت فى التاليد ص ١٧ .

س : من هو قائم الزمان ؟

جـ : هو حمزة بن على .

س : ماذا تقول عن الانجيل الذى هو فى أيدى النصارى ؟

جـ : هو كلام المسيح الحقيقى الذى **كان يسمى فى ايام صاحب الهجرة سلمان الفارسى .**

س : من الذى قام من القبر ودخل والأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين ؟

جـ : هو المسيح الحى الأبدى وهو حمزة بن على عبد مولانا الحاكم .

س : لماذا اختفى حمزة بعد اختفاء الحاكم ؟

جـ : لما اختفى المعبود امتنع قائم الزمان من الوجود .

١٠ ــ ليست المسيحية ولا المسيح الذى يتردد فى كتبهم هو المسيح الذى يؤمن به المسلمون ، وانما هو مسيح آخر ، كما يظهر من هذه المحاورة .

س : ماذا تقول عن الانجيل الذى بايدى النصارى .

جـ : هو حقيقى لانه يتضمن كلام المسيح الحقيقى الذى **كان اسمه فى ايام محمد سلمان الفارسى وهو حمزة بن على ، والمسيح غير الحقيقى هو المولود من مريم ، فانه ابن يوسف النجار (التاليد ص ٢٠)** (قارن بأقوال اليهود فى التلمود وبما جاء فى منشورات شهود يهوة كتاب الحق يحرركم ص ١٣٥) .

س : من هو الذى قام من القبر ودخل المكان الذى كان التلاميذ فيه ؟

جـ : **هو المسيح الحى الذى لا يموت ، وهو حمزة بن على .**

س : من الذى بشر بالانجيل ؟

جـ : متى ومرقس ولوقا ويوحنا !!.

١١ ـــ سوف يظهر الحاكم مرة أخرى ، ولظهوره علامات منها : كشف ستر معلم الأديان الكاذبة ، واقبال الخلق على المعاصى ، وظهور الخداع الذى هو الدجال . ثم يظهر المسيح الحقيقى وهو **حمزة بن على مبشرا بظهور مولانا سبحانه .** (التاليد ٣٠) .

❊ ❊ ❊

من هذا البيان الموجز ندرك تماما كيف تامت فلسفة المهدية والظهورات المسماة بالالهية ، وكيف أن من أدعو أنهم أبناء فاطمة الزهراء داسوا دين أبى فاطمة ، واستسلموا الى تعاليم يعقـوب ابن كلس اليهودى ، وتظاهروا بتعظيمهم للمسيحية ، ثم عادوا فطعنوها فى شخص المسيح ، فنسبوا اليه ما نسبه اليه اليهود من أنه ابن يوسف النجار ، وانهم اعترفوا على لسان داعيهم حمزة ابن على بأنهم نسخوا جميع الشرائع ، ونزعوا نزعة باطنية خالصة حتى قال بهاء الدين المقتنى أحد وزرائهم ان قول المسيح : « اهدموا هذا الهيكل وأنا أبنيه فى ثلاثة ايام » . الثلاثة أيام حسب تعاليم الموحدين (يعنى الفاطميين) عبارة عن ثلاثة مراتب :

الأولى : ظهور المسيح لتهيئة الناس لتعليم التوحيد بقوله : **ان الخالق يظهر يوما فى ناسوته .**

الثانية مجيء الفارقليط المذكور في الانجيل ، وهو روح القدس ، وهو صفة صاحب الرسالة .

الثالثة : **زمان ظهور المهدى .**

وقال : ان الدعاة يجب عليهم **ان يفسروا الكتب الدينية تفسيرا رمزيا** ، ليتدرجوا الى علم التوحيد الخالص النقى .

وبعد هذه الايام الثلاثة يأتى اليوم الرابع ، وهو الأخير ، وهو ظهور المسيح ، اى حمزة بن على . وقال بهاء الدين : ان اليوم الرابع ليس الا تمام اليوم الأول كما يظهر من الاصحاح السابع من انجيل يوحنا عندما طلب من المسيح أن يظهر أعماله فقال لهم : ان ساعتى لم تأت بعد .

والعلاقة وطيدة جدا بين هذه النحلة ونحلة الباطنيه والاسماعيلية . ويذكر المؤرخون أن أحد الباطنية صنف كتابا فيه أن روح الله انتقلت الى آدم ، ثم الى على بن أبى طالب ، ثم الى الحاكم العبيدى ، ثم الى الحاكم بأمر الله .. وقرىء هذا الكتاب بجامع القاهرة ، فما هو الا أن أتم قراءته حتى هم الناس بقتله ، فحال دونهم عبيد الحاكم ، فخاف عليه الحاكم أن يقتلوه ، فسير به الى جبال حوران ، فلما استقر فيها استمال أهلها بالعطاء وفرق بينهم الاموال ، وأباح لهم الخمور والزنا ، ومازالت قرى كثيرة تعتقد فيه ، ويعتقدون **خروج الحاكم ، وأنه يرجع ليمهد الأرض .**

ومما يدل على علاقتهم بالباطنية والاسماعيلية ما جاء فى كتاب

أرسله الامام محمد طاهر الحسينى وهو من أسرة محمد مؤمن شاه الى اتباعه الاسماعيلية النزارية فى سوريا وفيه :

« .. والله والله ان امام زمانكم هو الشاهد على أحكامكم واعمالكم ، وهو صفوة الصفوة ، وخلاصة الكون ، **والمقصود الاول والآخر** ، **وحقيقة الظاهر والباطن** ، ونور الله المترجم ، ووجهه الذى لا يرى الا منه ـــ انظر فروع الشـــجرة الاسماعيلية ـــ المطبعـــة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧ ، ص ٦٠٧ » .

وفى كتاب آخر مرسل من الامام محمد مشرف من بلدة أرنك أباد فى ســــنة ١١٧٣ هـ « اللهم انى وجهت وجهى الى المحاريب الفاطمية ، والشموس اللاهوتية ، والأئمة الاسماعيلية شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية ، ولا فوقية ولا تحتية ، ولا سماوية ولا أرضية ص ٦١٠ المصدر السابق » .

ولا يغيب عن بالنا أن الاسماعيلية الباطنية التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالفاطمية لما رأينا من حماية الخليفة الفاطمى لمن يذيع بين الناس حلول الله فى روح الحاكم ، ولما رأينا من التشابه بين أقوال أئمة الاسماعيلية وائمة الفاطمية . هذه الاسماعيلية هى المدونة فى التاريخ باسم الحشاشين . وأن الحسن الصباح زعيمهم قد تحصن بقلعة الموت ، ودرب الكثيرين على الاغتيال والفـــدائية ، موهما أياهم انه هو الذى سوف يدين العالمين ، وانه يملك الجنة والنار ، وانه مع الامام يملك حق الدينونة يوم القيامة ، وما زالت (قبة الفداوية) فى القاهرة أثرا من آثارهم كانوا يدربون فيها وفيما حولها الجواسيس على الاغتيال .

ولا ندرى ان كان المهديون يستخلصون البيعة بالاغتيال ، ام

هم مرضيون من الله يسعى اليهم النـــاس للمبايعة .. تلك والله دوامة نخشى منها على عقول الشباب ، ومن أراد المزيد فليراجع (الاسماعيلية للاستاذ عادل العوا طبع بيروت ، والحركات السرية فى الاسلام للاستاذ عبد الله حسين) . ليدرك الرابطة الوثيقة بين :

١ ـــ تطور فكرة المهـــدى على أيدى الفاطميين الباطنيـــة والاسماعيلية والدرزية .

٢ ـــ صلة هذه الجماعات بالجانب الالحادى من الفكر اليهودى والذى يسعى الى مسخ الشرائع كلها .

٣ ـــ صلتها بمذهب التأويل الرمزى الذى يمكن من خلاله طمس معالم الشرائع .

ومن هذا المنطلق يمكن للمسلم أن يعرض على نفسه القضية فى صـــورة من صـــورها ، وهى : هل يمكن أن يبشر الملحدون الطامسون لمعالم الشرائع بخير يعود على جماعة المسلمين الموحدين النافين للشرك ، والمحاربين للبدع والضلالات او الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ؟

والاجابة التى لا يوجد غيرها هى : أن هذا غير ممكن على الاطلاق ، هكذا عنـــد أكبر العقول واصغرها ، واعلمها واجهلها على السواء .

والقائل بأنه يمكن أن يبشر هؤلاء بخير كالقائل بأن الشيطان يدل على خير ، وهو سفه باجماع الاحياء من الناس من كل طبقة ومن كل ملة .

* * *

حركات مريبة فى العصر الحديث

بين أمواج الثقافات الحديثة ، ونهضة الفكر الصاخبة ، وبين الأزمات التى اجتاحت البشرية من جراء تضارب المذاهب السياسية والاقتصادية ، والتى خلفهـا المستغلون والطامعون والمغامرون العالميون ، بين كل تلك الدوامات نشأت أفكار وجماعات تدعو الى ظهور مخلص مستقبل ، أو تبشر بمخلص ظهر بالفعل ، وسنكتفى فى هذا المختصر بنماذج سريعة لهذه الجماعات يمكن أن يقف منها المسلمون على ما يجرى حولهم ، وما يدس لهم فى ثقافاتهم بطريق مباشر او غير مباشر .

اولا : جماعة برج المراقبة :

اسمها (شـــهود يهوه ، أو برج المراقبة للكتاب المقـدس والكراريس) . ولها فروع فى جميع انحاء العالم ، وكان لها فرع فى القاهرة ، ولكنه اغلق ، وعلمت انهم كانوا قد اقاموا دعـوى أمام مجلس الدولة لاعادة نشاطهم .

ولهم مجلة باسم **(برج المراقبة)** تطبع بست وثلاثين لغة كما هو مسطر على غلافها ، ومنها اللغة العربية . والطبعة العربية

كما هو مدون على غلافها (مليون نسخة) . ولهم كتب مطبوعة طبسا انيقا أودعوها منهجهم فى الدعوة ، واهدافهم بطريقة لا يشك القــارىء البصير أنها من وضـــع اساتذة متخصصين فى التربية والتدريس على أرفع مستوى معروف . وهى وجميع مطبوعاتهم تطبع بنفس اللغات التى تطبع بها المجلة ، والعدد المطبوع من كل كتاب بكل لغة (مليون نسخة) . وقد وقع لى من هذه الكتب ثلاثة الى جانب بعض اعداد المجلة ، وكان ذلك فى نهاية الأربعينات ، وفى محـــاولة ناجحـــة قمت بها لاستكشاف بعض أسرار هـــذه الجماعة ، وهى :

١ ــ كتاب الحـــق يحرركم .

٢ ــ كتاب ليكن الله صادقا .

٣ ــ كتاب المصـــالحة .

وكنت أستعين باثنين من المعنيين بهذه الجماعة فى تلك الأيام هما : الأب جبريل عقيق رئيس قسم اللغـــة العربيـــة بمدرسة الجزويت . والأب يوحنا كابس ، ولازال على قيد الحياة ، وهو فيما أعلم الآن وكيل لبطريرك الكاثوليك فى القـــاهرة .

واول ما كان يواجهك فى مقر هذه الجماعة فى شارع رمسيس بالقـــاهرة عدد من الموظفين لا ينطقون أمامك بكلمة واحدة ، بل يطلبون منك عنـــوانك ، على أن يرسلوا لك من الخبـــراء من يتحـــدث معك .

وزارنى فى يوم من الايام من تلك الاعوام رجلان وامراتان .

واجريا معى تحقيقا دقيقا لمعرفة الدوافع من جانبى للبحث فى مذهب شهود يهوه ، ولكننى نجحت فى الاختبار ، وجذبتهم الى الحديث ، ووجهت تساؤلى أولا الى اسم الجماعة : ما هو المقصود بالمراقبة ؟ ومراقبة ماذا ؟ وما صلة (يهوه) بمذهب مسيحى كما يدعى الخبراء انهم مسيحيون يعملون لخير المسيحية ؟

وكانت الاجابة مذهلة ، فالمراقبة هى مراقبة ظهور المسيح ، وصلة يهوة بالمذهب أن الذين اكتشفوا ظهور المسيح هم من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، ومن الوفاء أن نطلق لفظ يهوه العبرى على الجماعة .

ولما تكررت الزيارات استطعت الحصول على الكتب التى ذكرتها مع بعض أعداد المجلة . ثم قطعت صلتهم بى ، وخلوت الى الكتب ، فكانت خلاصة ما يدعون اليه هو :

١ ــ التعصب الشديد جدا للمسيحية فى أوائل البحث ، بحيث لا يشك القارىء فى انهم مسيحيون مخلصون .

٢ ــ وفى منتصف البحث تبرز تساؤلات تشكك فى المسيحية القائمة ، وفى المسيح عليه السلام ، فالمسيح لم يقبل أن يكون ملكا يجلس على كرسى داود ، **وقد هرب اتبـــاعه ليلة القبض عليه ، وحاولوا نسج هالة حول مولده ليخفوا فضيحة خلقية ارتكبتها مريم .** والكنيسة ليست هى البناء والهيكل والمذبح ، وانما الكنيسة رمز يعيش فى القلوب ، واحتكار التعاليم الدينيــــة دلالة على الخوف والجبن .. الى آخر ما يشبه ذلك من التشكيك والتدليس .

٣ ــ المسيح الحقيقى ظهر بالفعل فى فلسطين عام ١٩١٩ م .

وهو مختف هناك فى سرداب ، وقد تعرف اليه من تلقوا تدريبا خاصا على مواجهته والفهم عنه ، وكل من يريد لقاءه فعليه أن يتلقى تلك التدريبات ، حتى يكون مستعدا لمواجهته ، وحتى يحسب ضمن **الخراف الناجية ، المحدودة العدد** .

٤ ــ وفى نهاية كل كتاب تجد المراثى المحزنة لما لاقاه اليهود فى معتقلات النازية ، ولما عانوه من اضطهاد وتشريد فى بقــاع الأرض ، أفراح وتكريس لكل من اسعده الحظ بلقاء المخلص البــار .

والربط بين هــذه النحلة وبين نحلة الفــاطميين واضح . فالمسيح عيسى بن مريم كذاب هنا وهناك ، وهو ابن يوسف النجار هنا وهناك ــ ونعوذ بالله ان نقول بذلك ــ وهناك ظهور آخر كما ان هنا ظهورا آخر قد تم بالفعل .



والجديد هنا امران :

١ ــ العمل على انحلال عقائد المسيحيين وتشكيكهم فى دينهم ، وزلزلة ايمانهم .

٢ ــ اعتبار فلسطين مركزا من مراكز الدعوة الجديدة التى يجب أن يهرع اليها طــلاب النجــاة ليكونوا ضمن **(الخــراف الناجية)** .

فهل هناك نحلة اخرى موجهة نحو الاسلام فى العصر الحديث بالاضافة الى النحل القديمة التي فشلت فى قهر الاسلام ؟.

هــذا ما يمكن ان نتبينه فى العصر الثانى والثالث من هــذا الفصل ، وهل تحتوى على عنصر الظهور هى الاخرى ؟

٢ ــ البهائيــة :

يقول جورج تاوزند مؤلف كتاب (هذا ما وعد الرحمن ، موعد كل الأزمنة) : « ان السيد المسيح قد ذكر علامات كثيرة يعرف بها قرب الملكوت واقتراب مجيئه ، بل انه ذكر عدة حوادث وانذارات بعضها واضح وبعضها غير واضح ، اما الميعاد فلم يحدده ، ولكنه امر الناس بالترقب ، وان الناس قبل ان يأتى ابن الانسان سيكونون منهمكين فى المعــاصى والظــلم والطغيان ، مستسلمين للشهوات والمتع ، **الا ان مصير اليهود هو العلامة الحاسمة لآخر الزمان ، فقد قضى عليهم خلال الدورة المسيحية ان يشردوا ، وان ينفوا فى الأرض ، فاذا استوفوا عقابهم ، والآن لهم فى الرجوع الى ارضهم ، حينئذ قد يعلم العالم ان دورة قد انتهت ، وان دورة اخرى قد بدأت ص ٨٨ ، ٨٩)** .

ثم يقول مكررا فكرة العودة اليهودية الى فلسطين : « على ان العقيدة الدينية فى ترقب مجىء آخر لم تقتصر على العــالم المسيحى وحده .. **فالبوذيون ينتظرون قدوم بوذا الخــامس ، والزرديشتيون ينتظرون قدوم شــاه بهرام ، والهندوس ينتظرون**

التجسد العاشر الذى يسمى كالكى ، والمسلمون ينتظرون الظهورين اللذين تنبأ بهما سيدنا محمد .

... وانه حينما تحققت اشارة عودة اليهود الى فلسطين تحققا يثير طلعة كل من هو على علم بنبوءات المسيح ، لم يتحرك قلب العالم المسيحى ليبحث عن تفسير لهذه الظاهرة المدهشة — ص ٩٧ » .

ثم يعود ليحرك المشاعر المسيحية نحـــو فلسطين باعتبار ما حدث فيها جزءا لا يتجزأ من عقيدة المسيح ودعوته فيقول : « ووارد فى التواريخ انه عند المجيء الأول للمسيح سبحت اشارة رمزية من عند الله الى ارواح الناس فى طول الارض وعرضها ، **فذاع فى الشرق اعتقاد بحـــاكم عظيم ينهض من ارض يهوذا — ص ٩٧ » .**

وفى محاولة لئيمة لصرف أنظار النـــاس عن أصابع اليهود يقول :

« ويقارن البهائيون عجز اليهود عن تقدير اهمية السيد المسيح بعجز العالم فى الآونة الراهنة عن ادراك اهمية البهاء وتعاليمه — ص ٩٨ » .

فالبهائية على هذا تتجه بقلوبها جميعا الى فلسطين ، والى ارض يهوذا ، وتشير الى البهاء بصفته الرسول الوحيد الذى بعث على مقتضى العصر لجمع كلمة العالم تحت لواء الحكومة العالمية ، وعلى اساس من مقتضيات العصر التى تحتاج الى تشريع جديد .

اما ابو الفضائل الجرفادقانى وهو من كبار علماء البهائية فيورد اقوالا كثيرة تمت بصلة النسب القوية الى اقوال شهود يهوه ، من جهة أن الذين يفقهون الظهور الجديد قلائل ظافرون بنعمة الاختيار الالهى ، وليسوا كل الناس ، فهو يقول فى كتابه « الحجج البهية ص ٩٣ » .

« التنبؤات باليوم الآخر (يعنى الظهور الآخر) كثيرة فى الكتب السماوية ، ولكن هذه الكتب تؤكد تأكيدا شديدا أن أحدا لن يستطيع — كما قضى الله — أن يفترع هذه التنبؤات أو يحسر القناع عنها الى أن يشرق ذلك اليوم العظيم ، وأن التفسير الصحيح — حتى فى ذلك اليوم — سيمتنع الا على الذين يجتبيهم الله .. ويحتج بما جاء فى رؤيا دانيال : « فأخف الكلام ، واختم السفر الى وقت النهاية ، كثيرون يتصفحونه ، والمعرفة تزداد — دانيال ١٢ : ٤ » . وقال : « اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية ، كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمحصون ، أما الأشرار فيفعلون شرا ، ولا يفهم أحد الأشرار ، ولكن الفاهمين يفهمونه — دانيال ١٢ : ٩ — ١١ » .

ولا يخفى ما فى هذه الاقوال من نسب صريح بين عقيدة الباطنية وشهود يهوه فى أن القائم لن يفطن اليه الا القليل المختار من الناس ، وفى التحويم الكامل حول المسيح ، الا ان البهائية لم تطعن على السيد المسيح ، وماذاك الا لأنهم متخصصون أساسا فى تضليل المسلمين اولا ، وبقية اهل الاديان بالمرتبة الثانية ، وهم يعلمون عقيدة المسلمين فى المسيح ، فلو انهم طعنوه لما وجدوا سامعا ولا مطيعا ، ومع ذلك فالسامعون والمطيعون لهم من المسلمين قلائل لا يذكرون .

ويقول بهاء الله مبررا رسالته بعد ختم الرسالات فى كتابه الايقان ص ١٥ :

« كما ربط موسى رسالته برسالة سابقة ، فان المسيح ربط رسالته برسالة موسى ، وساوى نفسه بموسى ، وادعى الحق فى تعديل شريعته ، مظهرا أن تعاليمه هى تعاليم موسى .. وكذلك جاء سيدنا محمد مصدق أخباره وآثاره وكتابه بقوله انه من عند الله ، والواقع أنه صرح قائلا : اننى أنا عيسى (؟) كما ادعى لنفسه بحق انه **خاتم النبيين الذين سبقوا الظهور الكلى** ، فختم بذلك صف النبوة الطويل ... وجاء النيران الشيخ أحمد الاحسائى والشيخ كاظم الرشتى يشهدان باستمرار الرسالة ، ويبشران بمجىء الباب ، وفجر اليوم الآخر » .

ولا يخفى ما فى هذا النقل من غمز خفى للمسيح حين يقول : وادعى الحق فى تعديل رسالته . ولم يقل بحق ، كما قال عن رسول الاسلام انه ادعى بحق أنه خاتم النبيين ، وان كان قد أول هذا الختام تأويلا عجيبا بفرق بين ظهور جزئى وظهور كلى لم يقل به سواه ، ولا يخفى هنا ما فى اصطلاح (الباب) من تشابه مع الباب عند الفاطميين وسنورد فقرة مستقلة بهذا الاصطلاح .

ولأول مرة نرى فرقة ذات نحلة هدامة تستغل نصوص السنة بصرف النظر عن قوتها أو ضعفها فى تأييد نحلتها . يقول تاوزند فى كتابه « هذا ما وعد الرحمن » ص ١٠٥ ، ١٠٦ :

« كان الاسلام آخر الاديان العالمية ، وهو يقرر بوضوح أنه مطلع الظهور الذى انتظره العالم ، وكانت هذه التنبؤات أشد

تحديداً من بعض الوجوه .. فهو قد بين أن المجيء الثانى ثنائى ، أى انه يظهر مظهران لله ، كما نبه على أنهما اذا ظهرا ادخلا تغييرات بعيدة المدى فى الدنيا والدين ، وكل الطوائف الاسلامية تقبل الجزء الأول ، ولا نجد بينها من يقبل الجزء الثانى .. وفضلا عن ذلك فان سيدنا محمدا قد تنبأ بنبوءة تقف بموضوعها فريدة عن معظم النبوءات الأخرى ، لانها تتناول الظهور الروحى بقدر ما تتناول المشكاة والمصباح والهيكل النورانى الذى كان عليه ان يأتى الى هذا الوجود ، ليكون الظهور بمثابة الحرم ... ونحن نرى سيدنا محمدا فى احـدى نبوءاته العجيبة يؤكد أن مرآة الله القادمة ـ القائم ـ سيقوم فى أحضان الاسلام ، وأنه سوف يكون من عترته .. وحين جاء موعد البر بالموعد اطرحوا فى غير تردد وراء ظهورهم ذلك المتألق السيد الذى لا تشوبه شائبة ، والذى التقت فى شخصه كل العلامات التى قال بها سيدنا محمد » .

ولا يخفى ما فى هذا النص من تأويل فاسد للمشكاة والمصباح والزجاجة فى القرآن على غرار تأويل الباطنية تماما ، كما لا تخفى العنـاية بالمجيء الروحى كما تدين الباطنية الفاطمية تمـاما . واشر الدواهى ان ميرزا محمد على اصبح بقدرة قادر عربيا من سلالة النبى بعد أن كان فارسيا .

وحينما قتل « الباب » فى ايران وهو ميرزا محمد على ، كان بهاء الله ميرزا حسين على الابن الأكبر للوزير ميرزا بزرك فى مقتبل الشباب ، وكان البابيون قد اعتدوا على الشاه بقيادة امرأة يقال لها قرة العين ، فقبضوا على بهاء الدين ونفوه الى الآستانة ، ثم الى ادرنة ، وتركوا له حرية الاقامة فى بلد غير ايران ، فاختار

مدينة « عكا . وهنا لعب الخيال البهائى لعبـــة عجيبة تضم الى الاعيبهم فى توجيه الانظار نحو فلسطين والارض المقدسة والاهداف اليهودية العالمية . فنقلوا فى كتاب من كتبهم اســـمه « لوح ابن الذئب » ص ١٣٢ ما يلى :

« نسى أعداؤه أن سيدنا محمدا قد نبه غير مرة الى مدينـــة عكا فقال : « ان عكا مدينة بالشام ، قد اختصها الله برحمته .. ان أفضل السواحل عسقلان ، وان عكا أفضل من عسقلان ، وفضل عكا على عسقلان كفضل محمد على جميـــع الانبياء . الا أخبركم بمدينة بين جبلين بالشام يقال لها عكا ، الا وان من دخلها راغبا فيها وفى زيارتها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »

وقال : أخبركم بمدينة على شاطىء البحر بيضاء حسن بياضها عند الله تعالى يقال لها عكا ، الا وان من أذن فيها كان له مد صوته فى الجنة ، الا وان فى الجنة ملوكا وسادات ، وفقراء عكا ملوك الجنة وساداتها ، وان شهرا فى عكا أفضل من الف سنة فى غيرها .. طوبى لمن زار عكا ، وطوبى لمن زار زائر عكا » .

ولا تعليق لنا على هذه الاخبار الا أن ندعها للصبيان ليحكموا بكذبها ، وبأنها لا تصدر عن رسول ، بل ولا عن درويش لا يدرى يومه من أمســه .

وليس اصطلاح الباب عند البهائية والذى يتوافق تماما مع اصطلاح الباب عند الفاطميين مما جاء عفوا وبلا ترتيب وتقدير ، وانما كانوا على معرفة به يمكن أن نفسرها على أن نحلة البهائية هى حلقة متصلة بنحل اسلافهم من اهل الالحاد .

ففى كتاب « مطالع الأنوار للنبيل ص ٦٠ » جاء قوله : « لم تكن استعارة الباب غير مألوفة لدى المسيحيين ، وقد استعملها المسيح فى مثل واحد من امثاله الجميلة المحببة ، واشار به اشارة خاصة فذة ، فقدم نفسه فى ثوب الاستعارة فى صورتين مختلفتين تماما ، فقال : انا هو الباب . ثم قال : الذى يدخل من البـــاب . ومضى يفسر ان الذى يدخل من الباب هو الراعى الصالح ، يتبعه اولئك الذين يعرفون الصوت الالهى ، والكلمة المقدسة .

« اما عند المسلمين فقد كان لقب الباب اكثر اشتهارا » .

فان كان يريد بشهرة الباب عند المسلمين ذلك الحديث الموضوع الذى يقول : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » . فرغم كذب هـــذا الحديث ، ورغم احترامنا الشديد للامام على فان ورود كلمة الباب مرة واحدة بالمعنى الذى يريده الملاحـــدة ، والذى فسروه حسب نحلتهم لا يدل على اشتهار هذا اللقب مطلقا . اما ان ارادوا ورود هذا اللقب فى نحلة الفاطميين وفروعهم من الأسماعيلية وغيرها من النحل ، فانه لقب مشهور ، ولكن فى عالم الالحاد والكفر والخروج عن الاســـــلام .

وكذلك لم يكن نفى بهاء الدين الى فلسطين امرا عفويا جاء رغم أنفه ، فالرجل هو وبابه وأتباعهما كانوا يخططون لمجـــد فلسطين القادم ، ويعملون ضمن دائرة واسعة لتحقيق هذا الهدف . وفى كتاب « هذا ما وعد الرحمن » قال المؤلف وهو بهائى :

« اما جثمان الباب الذى مزقه الرصاص الا الوجه ـــ الذى اصابته خدشات خفيفة فقد حافظ عليه اتباعه ، واخفوه بارشاد

بهاء الدين فى مكان أمين ، حتى نقل نهائيا الى الارض المقدسة ، وهو الآن يثوى فى مقامه على سفح جبل الكرمل ــ ص ١٢٥ » .

وبهاء الله لا ينسى أن يزودنا بما فى دينه من الحلول ودعوى الألوهية كما فعل اسلافه الزنادقة من الفاطميين وأمثالهم فيقول فى « الكلمات المكنونة » موجها كلامه الى نابليون الثالث :

« **ان الذى خلق العالم لنفسه** قد حبس فى أخرب الديار بما اكتسبت أيدى الظالمين ، ومن أفق السجن يدعو الناس الى **فجر الله العلى العظيم** » .

والعجيب هنا أن خالق العالم محبوس فى اخرب الديار ، وفى الوقت نفسه يقول فى نفس المصدر السابق فى خطاب وجهه للشاه :

« يا ملك ، قد رأيت فى سبيل الله ما لا رأت عين ولا سمعت أذن » .

وهذه العقيدة المزدوجة المكونة من : الحلول ودعوى الألوهية ، ومن العبودية والاعتراف بالبشرية معروفة لدى أهل النحل الالحادية المغرضة ، فهى من صميم عقيدة الفاطميين كما هى من صميم عقيدة البهائيين ، وهما من الشيعة . وسبب ذلك أن العقيدة الحقيقية عندهم هى عقيدة الحلول ودعوى الألوهية الظاهرة فى الناسوت ، ولكن هذه العقيدة على هذه الصورة لا تبذل الا لأهل الدرجات العليا من النحلة مقرونة بالاباحية واسقاط الفرائض . أما عقيدة العبودية لله فهى ستار تبذل للعامة حتى يستأنسوهم بها الى اقبية نحلتهم المظلمة .

والا فما تفسير وجود هذه الظاهرة لدى جميع النحل الالحادية ان لم يكن هذا ؟ لا نجد تفسيرا غير هذا الا أن يكون رأس العقيدة وامامها مختلط العقل مترددا بين الحلول والعبودية ، وهو مطعن يخرجه عن حد العقل ، وعن حد الاتباع ، وعن حد الآدميين .

اما من اراد أن يستوعب فضائح العقيدة الفاطمية والباطنية على الاطلاق فى القديم ليقيس عليها هذا الاختلاط الجديد ، فليرجع الى كتابى : (عقائد آل محمد لليمانى ، نشر عزت العطار . وكتاب فضائح الباطنية للامام الغزالى) وكفاه هذان عن المطولات ، وخلاصة ما فى الأول أن الدرجة السابعة يخلع فيها المسلم من عقيدته تماما ، الى الايمان بالاله المتجسد فى صورة الامام الذى يملك التشريع واسقاطه ، ولكل فريضة يسقطها الامام ثمنها ، فاذا أراد دخول الجنة — وهو عندهم اباحة الأعراض ذكورا واناثا — فليدفع قدر ما دفع فى اسقاط الفرائض لداعى الدعاة .

استمع الى البهاء يقول : « انى انا النقطة التى ظهر منها كل الوجود ، وانى انا وجه الله الذى لن يفنى ولن يطفأ . انا الموعود الذى دعوتم باسمه ألف سنة » مطالع الأنوار ص ٢٤ .

واستمع الى البهاء فى كتاب الايقان الذى ادعى أنه أوحى اليه به يؤكد ما يفضح السلف والخلف من الشيعة بالحلول : « الجميع باسم واحد ، ورسم واحد ، وذات واحدة ، وحقيقة واحدة لأنهم جميعا ساكنون على عرش ظهور الله ، وواقفون على كرسى بطون الله ، واذا ما سمع من المظاهر الجامعة انى انا الله فهو حق ولا ريب فيه — ص ١١٠ » .

اما عبد البهاء ابن البهاء فيعترف بتسلسل فكرتهم عن فكرة أسلافهم فى قوله : « المسيح مظهر للحقيقة الالهية ، وساذج الهوية والوحدة الصمدانية التى لا بداية لها ولا نهاية ، والتى لها فى كل دور بزوغ وشروق وظهور وغروب — مكاتيب عبد البهاء فى لندن ص ٣٣ » .

وقد أطلنا القول عن هذه النحلة لأنها أشدهم بأسا فى الدعوة الى الظهورات العجيبة ، وأكثرهم تمثيلا لعقائد أسلافهم ، ولوجود طوائف منهم فى كل بلدان الاسلام .

القاديانية :

أصل هذه النحلة رجل يقال له : غلام احمد ، ولد عام ١٨٥٢ م فى قاديان ، وفى سنة ١٨٨٦ م ادعى أنه يوحى اليه بأن أباه سيموت بعد الغروب ، ثم قوبل بالانكار الشديد ، فرحل الى « لودهيانة » وأذاع منشورا **أعلن فيه أنه المسيح المنتظر** . فثار عليه علماء السنة ، فانتقل الى « دهلى » داعيا الى نحلته ، فأنكر عليه العلماء أيضا ، واستمر فى دعوته ، والتف حوله بعض الأتباع ، وما زال كذلك حتى مات عام ١٩٠٨ م ودفن فى قاديان .

وخلاصة نحلته وصلتها بمثيلاتها ما يلى :

١ — **انه هو المسيح الموعود** لأمة الاسلام ، لقوله تعالى : **(ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا)** . وهذه بشارة بأنه سيكون فى الأمة الاسلامية رجل فى درجة مريم

الصديقة ، ثم ينفخ فيه من روح عيسى ، فاذا مريم يخرج منها عيسى . أى أن الرجل ينتقل من صفته المريمية الى صفته العيسوية .

وتلك عجيبة أخرى أن يزج باسم المسيح دائما فى النحل الالحادية ، وهى ظاهرة تستحق البحث فى موضع غير هذا .

ويقول : « **ان المهدى والمسيح قد ظهرا فى الهند** بمحل يقال له الأحمدية : « ان المسيح الموعود — يعنى غلام أحمد — كان مرسلا من الله تعالى ، وانكار رسل الله جسارة عظيمة » .

ويقول : « **ان المهدى والمسيح قد ظهرا فى الهند** بمحل يقال له قاديان ، وانه يوجد الآن آلاف يستمعون منه الوحى الالهى » .

ويقول فيما يدعى أنه يوحى به اليه : « أم يقولون انا لا نرى ضرورة مسيح ولا مهدى وكفانا القرآن وانا مهتدون .. فاشتدت الحاجة الى مفسر ذكى يدخل الذين لا يبصرون » .

ولقد حام حول الحلول حتى غرق فيه هو الآخر اذ يقول : « ينطق الله فى باطن العبد ويتخذ من جنانه عرشا ، ثم قال : انى لأكون قد ظلمت بنى نوعى ان لم أعلن لهم اننى على ذلك المقام ... قال الله تعالى : « **ان أمرك اذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون** » .

ويعود الى تمثيل نفسه بالمسيح فيقول فى الخطبة الالهامية : « ان نبينـا المصطفى كان مثيل موسى ، وكانت سلسلة خلافة الاسلام مثل سلسلة خلافة الكليم ، فوجب أن يظهر فى آخر هذه السلسلة مسيح كمسيح السلسلة الموسوية ، ويهـود كاليهود الذين كفروا عيسى وكذبوه » .

وهو بذلك ينسخ الاسلام ويعتبر المسلمين بالنسبة اليه كاليهود الذين رفضوا المسيح .

واذا أضربنا صفحا عن تمجيده للانجليز ، واعتباره بركة على أتباعه ، فان الرجل شأنه شأن أسلافه فى دعوى المهدية والرسالة معا ، وتكفير كل من لم يتبعه ، وملة الكفر واحدة .

المهدوية فى كتابات المعاصرين :

لا يمكن ان يتسع هذا المختصر لاستيعاب ما جاء عن المهدوية فى الكتابات المعاصرة . وخير ما يفيد الباحث المتعمق هو كتاب الدكتور مصطفى الشيبى بعنوان الصلة بين التصوف والتشيع . ففيه أبعاد سحيقة للموضوع ، وتتبع عميق لجذوره .

أما هذا المختصر فيناسبه أن يقف معى على رد كاتب شيعى اسمه طه أمين زين الدين على ما كتبه المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى كتابه المهدى والمهدوية . ومن خلال رد الأستاذ الشيعى يمكن أن نصل الى نتائج غاية فى الأهمية .

١ ــ أما الرد على الأستاذ أحمد أمين فى شأن أحاديث المهدى فسنعرض له فى فصل مستقل .

٢ ــ يقول الأستاذ زين الدين : ان المهدى ليس من ابتكار الشيعة ، وانما هو فكرة قديمة فى التاريخ تشير الى **الاصلاح المنتظر** . ونحن نقول له : اذا كان القدامى قد راودهم الأمل فى اصلاح منتظر فان الشيعة قد خرجوا على هذه القاعدة وقالوا :

انه موجود بالفعل ، مستور عن العيون وسيظهر فى يوم ما ، واشترطوا فيه العصمة . وادعوا أن للامام ما للنبى من الشروط واخصها العصمة ، لأنه أمين على الشريعة .

ونقول : ان الرسول معصوم لأنه يتلقى تشريعا من الغيب ، ويبلغه للناس ، وليس هناك شاهد على تلقيه من الغيب غير اختيار الله له وتمييزه بالعصمة . أما وقد بلغت الشريعة أقصى الأرض ، ودونت فى المصادر ، ولم تشذ من مسائلها صغيرة فضلا عن كبيرة ، فأى عصمة تراد من نقل المدون وتنفيذه كما هو ، وهو ما يريده الله ورسوله من الأئمة . اللهم الا ان كانت هناك دعوى تبيح لأئمة الشيعة أن يتلقوا الوحى ثانية ، فلابد من العصمة حينئذ لتبليغ الوحى الذى لا يشهد لصحة تلقيه وتبليغه الا العصمة .. وهو ما ادعاه الفاطميون من قبل ، حتى أرغموا الناس على السجود لهم وتقبيل الأرض بين أيديهم ، ولعل هذا من توابع العصمة على رأيهم .

٣ ــ يقول الأستاذ زين الدين : ان الأستاذ احمد امين يستكثر على الأئمة المقربين ان يحتفظوا ببعض مخلفات الوحى من علوم المستقبل ــ ص ٢٨ من كتابه مع الدكتور أحمد امين . ويرى الأستاذ أن علم المستقبل شرط فى الامامة .

ونقول له : كيف نستوثق من استيفاء المرشح للامامة لشرط العلم بالمستقبل اذن ؟ هل نجرى له امتحانا فى علم المستقبل ، ومن خلاله نرشحه ؟ ان كان ذلك فان كل المرشحين سيسقطون . اللهم الا ان كانت مسألة اجازات تعطى من سلطات تشبه السلطات الكنسية ، من حازها فقد أصبح مستعدا لعلم غيب المستقبل ،

وهو الأمر الذى تجرى عليه طرائق الدعاة ودعاة الدعاة واجازاتهم ، وهذا بله وعته وباب من أبواب الفسق عن الاسلام والشر المستطير على الأمة . شأنهم فى ذلك شأن بعض الصوفية الذين يعتقدون ان مجرد وضع اليد فى اليد يلبس المريد حالا من أحوال الولاية دون نظر الى سلوك . وغاب عن هؤلاء السكارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن يقول : **(ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى) ، (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) .**

واذا كان الخليفة بعــد النبى معصوما كما يدعى الشيعة فلماذا لعنوا الشيخين فى التاريخ ، ونقدوهما مر النقد فى كتبهم الحديثة ، مع أنهما باجماع الأمة ومنهم الامام على كرم الله وجهه امامان مبايعان ؟!!.

٤ ـــ يرد الأستاذ زين الدين على الأستاذ أحمد قوله : ان الامام المختفى اذا سلمنا باختفائه استعدادا للعودة لا يمكن أن يكون حيا ، لأنه سيعيش الف سنة مثلا . ويقول : ان نوحا عاش هذا العمر الطويل ، ونسر لقمان المسمى لبد عمر طويلا وساق أمثلة للمعمرين . ولا ندرى بأى عقل يتكلم هذا الرجل ، انه يستدل بواقع قد مضى ومضت به ارادة الله حتى أصبح تاريخا على مجهول لا نعرف ان كان سيعيش أو لا يعيش . وهل يجوز فى عرف العقل أن أقول : انى سأعيش الف سنة لأن نوحا عاش الف سنة . هذا دليل جديد على البله والعته ، اللهم الا ان يكون علماء الغيب من الأئمة الأحياء قالوا ذلك .

* * *

المهدى فى السنة النبوية

الآثار :

١ ــ عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدنيا ولا تنقضى حتى يملك رجل من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى » . أخرجه احمد وابو داود والترمذى .

٢ ــ وعنه بلفظ : « يلى رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى ، لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلى » . وزاد ابو داود : « حتى يبعث الله فيه **رجلا من أمتى أو أهل بيتى ،** يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى » . وروى أيضا من طريق موقوفا على أبى هريرة .

وقال الحاكم : رواه الثورى وشعبة وزائدة وغيرهم عن عاصم قال أحمد بن حنبل : عاصم كان رجلا صالحا قارئا للقرآن ، ثقة ، والأعمش أحفظ منه . وكان شعبة يختار الأعمش عليه فى تثبيت الحديث . وقال العجلى : كان يختلف عليه فى زر وأبى وائل ، يشير الى ضعف روايته عنهما . وقال ابن سعد : كان ثقة الا أنه كثير الخطأ فى حديثه . وقال يعقوب بن سفيان : فى حديثه اضطراب . وقال ابن أبى حاتم : قلت لأبى : ان أبا زرعة يقول : ان عاصم

ثقة . قال : ليس هذا محله ، وقد تكلم فيه ابن علية فقال : كل من اسمه عاصم سيء الحفظ . وقال ابو حاتم : محله عندى الصدق ، ولم يكن بذاك الحافظ . وقال ابن خراش : فى حديثه نكرة . وقال العقيلى والدارقطنى : سيء الحفظ . وقال القطان : ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته رديء الحفظ .

٣ ــ وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه بلفظ : « المهدى من أهل البيت يصلحه الله فى ليلة » . أخرجه أحمد وابن ماجه من رواية يس العجلى عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن جده . وفى رواية : « يصلح الله به فى ليلة » . والعجلى قال فيه ابن معين : ليس به بأس . وقال البخارى : فيه نظر . واورد له ابن عدى فى الكامل والذهبى فى الميزان هــذا الحديث على وجه الاستنكار وقال : هو معروف .

٤ ــ وعن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة ، فيخرج ناس من مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ، فيبعث اليه بعث **من الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة** ، فاذا رأى الناس ذلك **أتاه أبدال الشام** وعصائب أهل العراق فيبايعونه ، ثم يظهر رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ، ويعمل فى الناس بسنة نبيهم ، ويلقى الاسلام بجرانه الى الأرض ، فيلبث سبع سنين » . رجاله رجال الصحيح الا ان قتادة مدلس ، وقد عنعنه . أخرجه احمد وأبو داود . وأخرج الطبرانى نحوه عنها وفى اسناده ليث ابن ابى سليم . قال أحمد : مضطرب الحديث .

٥ ــ وعن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبشركم بالمهدى رجل من قريش من عترتى ، يبعث على اختلاف وزلازل ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ... » الحديث . وقد روى عن أبى سعيد بروايات وبألفاظ متقاربة . وفى رواية : عمران القطان . قال يحيى : لا يحدث عنه . وقال ابن زريع : كان حروريا يرى السيف على أهل القبلة . وفى بعض رواياته من لا يعرف . وفى بعض رواياته لم يصرح بذكر المهــدى .

٦ ــ وعن ثوبان أنه صلى الله عليه وسلم قال : « يقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير الى واحد منهم ، **ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق** ... فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج » . فى سنده أبو قلابة الجرمى وهو مدلس ، وعبد الرزاق وكان شيعيا ، واختلط آخر عمره . ورواه الحاكم وفيه : « فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه المهدى » . وفيه روايات أن الرايات من خراسان .

٧ ــ وعن عبد الله بن الحارث بن جزء عنه صلى الله عليه وسلم : « يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى سلطانه » . أخرجه ابن ماجــه والطبرانى وفيــه عمرو بن جابر الحضرمى وهو كاذب . وقال النسائى : ليس بثقة . وقال الطبرانى : تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف ، وشيخه عمرو بن جابر أضعف منه .

٨ ــ وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليــه وســلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتى فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق . قال : قلت : وكم يملك ؟ قال : خمسا

او اثنتين . قال : قلت : وما خمسا او اثنتين . **قال : لا ادرى »** .
اخرجه ابو يعلى . وفيه الرجاء بن الرجاء ضعفه أبن معين ووثقه أبو زرعة . قال القنوجى : وفيه بشير بن نهيك لم يحتج به أبو حاتم . وفيه رجاء اليشكرى مختلف فيه .

٩ ـ وعنه بلفظ : « **المحروم من حرم غنيمة كلب »** اخرجه أحمد وفيه ابن لهيعة لين الحديث .

وبلفظ « يكون فى أمتى المهدى ان قصر فسبع والا فثمان والا فتسع » الحديث ، أخرجه البزار .

١٠ ـ وعنه بلفظ : « يخرج رجل **يقال له السفيانى** فى عمق دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب ... ويخرج رجل من أهل بينى فى الحرة فيبلغ السفيانى فيبعث اليه جندا من جنده فيهزمهم ، فيسير اليه السفيانى بمن معه ، حتى اذا كانوا ببيداء من الأرض خسف به ، **فلا ينجو الا المخبر عنهم** » . أخرجه الحاكم فى المستدرك .

١١ ـ وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم : « يخرج **فى أمتى المهدى** ، يسقيه الله الغيث ... » الحديث . أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

١٢ ـ وعن على عنه قال : أمنا المهدى أم من غيرنا يا رسول الله ؟ قال : « بل منا يختم الله بنا كما فتح بنا .. » الحديث . اخرجه الطبرانى وفيه ابن لهيعة ضعيف ، وعمر الحضرمى أضعف منه . وقال الشوكانى : كذاب . وقال احمد : روى مناكير . وقال النسائى : ابن أحمق ضعيف العقل ، كان يقول : على فى السحاب ،

وكان يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول : هذا على قد مر فى السحاب.

١٣ ــ وعن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى نفر من المهاجرين والأنصار وعلى عن يساره والعباس عن يمينه .. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على والعباس وقال : سيخرج من صلب هذا من يملأ الأرض قسطا ، فاذا رايتم ذلك فعليكم بالفتى التميمى .. وهو صاحب راية المهدى » . رواه الطبرانى ، وفيه ابن لهيعة وعبد الله العمى ضعيفان . قال الهيثمى : الحديث منكر .

ولا يتسع المقام لاستيفاء أحاديث المهدى الا أنها كلها تجرى على هذه الوتيرة ، من الضعف أو النكارة ، وقليل منها ما هو حسن او صحيح السند . ولكن العجيب أن ترد أحاديث عن ابن عباس وابى سعيد وعثمان وابى هريرة وعمار فيها أن المهدى من ولد العباس . وقد تكلف العلماء الجمع بينها وبين الأحاديث التى تدل على أنه من آل البيت بأنه سيكون من بنى العباس من جهة أمه ، وهو تكلف ظاهر لا يعول عليه . كما أن هناك حديثا عن أنس أخرجه ابن ماجه والحاكم وفيه : « ... ولا مهدى الا عيسى » . وحديث آخر عن جابر وفيه : « ... ومن كذب بالمهدى فقد كفر » . ويقول السفارينى : سنده مرضى ، ويقول ابن خلدون : ابو بكر الاسكاف وضـــاع .

رأى ابن خـــلدون :

يقول ابن خلدون بعد ان ساق عددا من الأحاديث الواردة فى المهدى : والحق الذى ينبغى ان يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من

الدين والملك الا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه ، حتى يتم أمر الله . وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ، ووجدت أمم أخرى قد استغلت عصبيتهم قريش الا مابقى فى الحجاز بمكةِ وينبع من الطالبيين من بنى حسن وحسين وبنى جعفــر ، وهم عصـــائب بدوية متفرقون فى مواطنهم وامارتهم وآرائهم .. فان صح ظهور المهدى فلا وجه لظهور دعوته الا بأن يكون منهم ، ويؤلف الله بين قلوبهم فى اتباعه حتى تتم له شـــوكة وعصبية لاظهار كلمته .

وأما على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمى الى هذا الأمر من غير عصبية ولا شوكة الا مجرد نسبة فى آل البيت فلا يتم ذلك .

رأى الصوفية :

لقد زخرت كتب الصوفية المتأخرين بالحديث عن الفاطمى المنتظر ، وأجمع المتأخرون منهم على أنه سيظهر ، وممن أكثر القول فيه الشيخ ابن عربى فى كتابه عنقاء مغرب والفتوحات المكية ، وابن قسى فى خلع النعلين ، وعبد الحق بن سبعين وغيرهم .

وقد امتلأت كتبهم فى هذا الشأن بالالغاز والرموز والحـــروف والأعداد والتنجيم ليصلوا بذلك الى تحديد موعد خروجه . بل وربما ادعى بعضهم أنه هو .

والصوفية لامعول على كلامهم هنا لانهم يعتمدون غالبا فى هذا الشأن على الالهامات والكشف أو غيرهما مما لا يدخل تحت الدليل العلمى .

رأى أهل السنة :

لخص الفتوجى مذهب اهـل السنة بقوله فى كتاب الاذاعة ص ١٤٦ : « .. فقول ابن خلدون : فان صح ظهوره لا يخلو عن مسامحة ونوع انكار لخروجه . وتلك الاحاديث واردة عليه ، وليست بأدون من الاحاديث التى تثبت بها أحكام الاسلام الكثيرة المعمول بها . وما ذكر من جرح الرواة وتعديلهم يجرى فى رجال الأسانيد الاخرى أيضا بعينه أو بنحوه ، فلا معنى للريب فى امر هذا الفاطمى الموعود المنتظر المدلول عليه بالادلة ، بل انكار ذلك جراة عظيمة فى مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة الى حـد التواتر .

واما أنه لا تتم شوكة أحـد الا بالعصبية فنعم ، ولكن الله تعالى قادر على خرق العادة ، ويؤيد دينه كيف شاء . وهذا الاحتمال وان كان مطابقا لمـا فى الخارج فلا يصح لان ترد به الاحاديث . فهذه زلة صدرت من ابن خلدون .

وقال محمد بن أحمد السفارينى الحنبلى فى كتابه « لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاسرية » : وقد روى عمن ذكر من الصحابه وغير من ذكر منهم بروايات متعددة ، وعن التابعين ومن بعدهم مأ يفيد مجموعة العلم القطعى ، فالايمان بخروج المهدى واجب كما هو .



رأينـــا فى هـــذه القضــــية :

اذا أردنا الوصول الى الحقيقة فى هـــذا الموضوع فلابد لنا أن نفرق بين الاحـــاديث التى يمكن الا تزال قائمـــة الى الآن ، والأحاديث التى مضت أحـــداثها دون أن يتحقق ظهور المهـــدى بناء عليهـــا ، فهى أحاديث ساقطة مهما حسن سندها وصح ، فتركيب الاسانيد الصحيحة على المتون الباطلة من عمل الوضاعين مشهور . وكذلك الاحاديث المنكرة فى متنها ، والتى ينكرها أى مسلم بسيط ، فلا يصدق أن تصدر عن رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم .

أما النوع الاول ، فما جاء فى شأن السفيانى عن أبى هريرة ، وأنه يظهر فى عمق دمشق ، وعامة من يتبعـــه من كلب ، ويخرج المهدى فى الحرة (وهى فى المدينة) الى أن يقول أن جيش السفيانى يخسف به فلا ينجو الا المخبر عنهم .. هذا الحديث يشير الى معاوية ابن أبى سفيان فى دمشق ومن بعده من أمراء بنى أمية ، وربمـــا كان المقصود من الخارج بالحرة وما بعده من المعارك معركة الحرة المشهورة فى التاريخ .. ولم نسمع أن جيش الامويين نسف به ، ولو نسف به لتناقلته الأخبار . فمن أثبت هذا الحديث فقـــد اراد أن يكذب الله ورسوله ـــ وحاشا لله أن يكذب المعصوم ، بل كذب الرواة . ويلحق به حديث أم سلمة رقم (٤) لما فيه من هذا المعنى ، ومن حديثه عن الابدال ، فيه كلام وكذلك الحديث رقم ١٣ .

وكذلك الرواية التى فيها عن أبى هريرة : « .. والمحروم من حرم غنيمة كلب » . هذا قول منكر لا يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كان من منهجه أن تكون الغنيمة حافزا

رئيسيا من حوافز الجهاد ، وانما هى الشهادة ، وما شهد فى حياته قط بالحرمان على رجل رفض الغنيمة أو لم يسع اليها ، بل كان يكبره ويجله ويعلى شأنه .

وكذلك الحديث الذى أخبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمس والاثنتين . فلما سئل عن معناها قال : لا أدرى . هذا حديث من العار على الرواة أن يثبتوه الا على وجه الطعن فيه . فكيف يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه عن شيء لا يدرى معناه ؟ !! .

وكذلك الأحاديث التى تشير الى أن المهدى من بنى العباس ، فهى ظاهرة الوضع لما كان بين العلويين والعباسيين من الحروب والنزاعات ، واستعداد بعض أهل الحديث لهذا العمل ارضاء للخلفاء . فمحاولة التوفيق بينهما محاولة غير موفقة لما فى التوفيق من تكلف ظاهر .

فكل ما مضى من الاحاديث تاريخيا ، ولم يظهر فى أثناء هذه التواريخ مهدى فهو موضوع بحكم الواقع الذى لم تتحقق فيه هذه النبوءات .

أما الأحاديث التى أخبرت عن ظهور المهدى فى آخر الزمان ، والتى لم ينقض تاريخها بعد ، فهى موضوع الكلام هنا .



استحالة خروج المهــدى من بين الشــيعة :

هناك استحالة كاملة ان يخرج المهدى على فرض صــحة ما يسوقونه من روايات بطرقهم الخاصة من هذه الفرقة أو غيرها من الفرق الغلاة للأسباب الآتية :

١ ـــ أنهم فى مجموعهم لا ينتمون الى آل البيت ، اللهم الا اذا تعلقوا بآل البيت بطريقة عشوائية كالتى تعلق بها الباب والبهاء وغيرهم . ومازالت الأنساب تزيف ولاسيما عند الصوفية الذين يصلون كلا منهم بعلى بن ابى طالب على اى صورة من الصور .

٢ ـــ انهم جميعا ما عدا الزيدية ينتقصون الشيخين أبا بكر وعمر ، ويؤلون الاخبار على هواهم لتكون مثالب لهم لا مناقب ، وما لعن اسلافهم للشيخين على المنابر الفاطمية وكتابة لعنهم على جدران مسجد عمرو بن العاص بمنكور فى مصادر التاريخ . وما كان للاعن الشيخين أن يصلح مهما بلغ من التقى والورع المصنوع فقد أخرج ابو حنيفة فى مسنده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سب أبا بكر وعمر فاقتلوه ، فانما يريدنى والاســلام » .

وكيف يسب من قال الله تعالى فيــه : **(ثانى اثنين اذ هما فى الغــار)** ولا يخفى ما فى قوله تعالى : (ثانى اثنين) من تشريف للصديق حيث لم يعين من هو الأول ومن هو الثانى .

٣ ـــ استناد الشيعة الى رموز أسلافهم الالحادية ، واعتناقهم لهــا ، وقيام تعاليمهم على السرية التى تنتهى الى الالحاد وولاؤهم التام للفاطمى العبيدى وتعاليمه التى اخترعها يعقوب بن كلس ، وتسلسل هذه التعاليم بينهم الى وقتنا هذا .

٤ — اعتقادهم عصمة الامام تمهيدا للقول بأن سبب العصمة هو ما يجدده من تشريعات داخل الشريعة الاسلامية . والا فلماذا العصمة ، وهى كما قلنا لا تلزم الا لوثاقة الناقل عن الغيب الذى لا يشهده أحد سواه . أما وقد استفاضت الشريعة ودونت ، فأصبح الامر تبليغا للمدون المكتوب ، لاسيما وهم لا يؤيدون الاجتهاد والتقليد ، فدعوى العصمة دعوى مريبة غاية الريبة ، خصوصا وانهم يجوزون التعاليم التى يلهمها الامام الهاما . وهذا مخالف لاجماع الأمة .

٥ — استنادهم الى الخرافة ، وتعيين المنتظر بالامام العسكرى الذى اختفى فى سرداب فى مدينة « الحلة » وما زالوا ينتظرونه كل يوم عند غروب الشمس ، وينادون عليه بالخروج .. وهذا الزعم فيه مجافاة للعقل ، فعلى فرض انه اختفى ، فهل يبقى حيا الف سنة ؟ ولا حجة لهم فى عمر نوح ، فنحن لم نعلم عمر نوح ولا غيره من المعمرين الا بعد ان انقضى . اما أن نحكم ابتداء على شخص بأنه حى الف سنة دون علم مشاهد يقينى فهذا هو البله بعينه .

ولنا كلمة فى الأحاديث الأخرى :

والأحاديث التى قيل انها حسنة او صحيحة — ولا يخلو واحد منها من مغمز — لنا فيها كلمة وكلمات .

١ — أن المنتظر غير محصور فى آل البيت ، ولا هو محصور فى (المهدى) وذلك واضح من نصوص الأحاديث . ففى حديث ابن مسعود عند ابى داود (.. حتى يبعث الله **رجلا من امتى** او من

اهل بيتى) . وفى حديث الدارقطنى عن جابر « يكون فى أمتى خليفة يحثو المال حثوا » . قال الشوكانى : واصله فى مسلم « فى آخر أمتى » . وفى حديث أبى سعيد عند أحمد « يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المـال ولا يعده » . وعن أبى سعيد : « يكون من خلفائكم خليفة يحثو المـال حثوا » . ومثله عن جابر . وهـذا المعنى هو ما فى صحيح مسلم .

فالمسألة اذن ليست مهديا ، وأصح ما فى الباب ما رواه مسلم وفيه انه خليفة فى آخر الأمة ويقسم المـال قسمة عادلة ولكن يد العبث ألصقت تلك الصفات الواردة فى السنة حتى تلفت الانظار الى الشيعة والى الامام المستور المختفى فى سرداب الحلة .

٢ ــ ومن أعاجيب هذه النصوص ان هـذا الموعود سيملأ الارض عدلا فى سبع سنين أو تسع سنين ، وهى اقصى مدة مقدرة فى النصوص الواردة . وهذا أغرب ما سمعته البشرية فليس فى الارض نبى ولا رسول استطاع أن يملأ الارض كلها عدلا كما ملئت جورا فى تسع سنين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان امام المسلمين ثلاثا وعشرين سنة ، وما استتب العدل فى الارض كلها ، وانما استتب فيما وصلت اليه دعوته ، ولم تصل الى الارض كلهـا كعقيدة متبعة . فالقول بأن المهدى يملأ الارض عدلا فى سبع سنين قول فيه طعن على رسالات السماء ، وشجب واضح لرسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم لا يخفى على من له أدنى تبصر .

٣ ــ ترددت النصوص بين كون الخارج من آل البيت ، او من عامة الأمة او من ولد العباس ، وهذا التردد يبطل الفكرة وان لم يبطل الامل فى مصلح يعيد الامة الى رشادها فقط ، اما ما اضيف

الى ذلك من أوصاف فهو تابع لأهواء النحل التى سارت وراء الفكرة .

٤ ـ من النصوص ما يفيد أن رجلا صالحا طلب المال من المهدى فلما أخذه أراد أن يرده لانه أصلح رجل فى الامة وان المال سيفسده ، فرفض المهدى أخذه . وهذا أعجب من كل عجاب فهل هو مضل عن سبيل الله أو هاد الى سبيل الله !!.

وعلى هذا فالفكرة كلها مدخولة ، وخلاصة الصحيح فيها أن الأمة ستتحول عن طريق الله ، ثم يهيىء الله لها من يردها الى الصواب وعلى ما كان عليه السلف والله اعلم .

القضية قضية اصلاح :

من سمات الديانات العظمى والمذاهب السامية الشاملة الا تستوعب الملايين مراميها ومقاصدها من الناحية العملية ، ولا تجيد السلوك عليها دهرا طويلا دون أن تنتكس فى سلوكها فتخلط الهوى بالحق ، وتنزع نحو تشريعات سلوكية من تلقاء أنفسها بحجة التطوير أو الاستجابة لمطالب النفوس التى يزعجها أن تستقيم على صراط واحد دهرا طويلا من الزمان دون درس قاس تتجرعه فى قسوة ومرارة .

هذا أصل من أصول السلوك النفسى نجده عند الافراد كما نجده عند الجماعات . فالفرد حينما يريد الاستقامة بعد الضلال كثيرا ما يتردد بين السلوك الجديد والعودة الى السلوك القديم ، ثم التوبة والاستقامة ، أو البقاء على الاصرار والضياع ، ولهذا جاء

النص القرآنى موحيا بذلك فى قوله تعالى : **(ان الله يحب التوابين)** اى الكثيرى التوبة ، اى الذين اذا رجعوا الى الاثم بلا اصرار عاودوا التوبة . ولا يثبت الانسان على سلوكه المستقيم الا بعد ان يتلقى صدمات عديدة من جراء انحرافه ، يقارن بينها وبين حياته فى ظل الاستقامة ، ومن ثم يتم له العقل والثبات ، وقد يستغرق هذا الدرس عمرا طويلا ، وقد لا يستغرق الا وقتا قصيرا .

فاذا كان هذا فى سلوك فرد من الافراد ، فما بالك بسلوك جماعة أو أمة من الامم فى بيئة محـــدودة أو امة ضخمة انقسمت حكومتها الواحدة الى عدة حكومات لكل منها هواه وميله ونزعته ؟

لقد كانت حكومة المسلمين واحدة ، وثبتوا على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة من بعده بلغوا فيها ما بلغوا مما يحير فلاسفة التاريخ فى تفسيره الى الآن . ثم بدأت النكسة والتجربة النفسية التى لابد منها ، فانقسموا وتنازعوا ، واستعبدوا لغيرهم من الأمم ، وتوالت عليهم المحن والفتن ، وامتحنوا بالبلاء وبالمـــال فما نجحوا ولافهموا ولافقهوا حتى ضربهم الله بسوط بنى اسرائيل فاحتلوا بلادهم ، وتداعت عليهم الامم كما يتداعى الآكلون على القصعة حسب تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهنا بدأوا يقرعون الدرس ، ويراجعون التاريخ ، ويتطلعون الى الوراء يستلهمون الوقائع والشريعة وسير الابطال .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو : هل من المعقول ان يخلق الله العالم ، ويبعث هذه السلسلة الطويلة من الرسل تمهيدا لشريعته الخاتمة ، ثم تراق أطهر الدماء فى سبيل سيادة تلك الشريعة دينا ودولة لخير امة أخرجت للناس ، ثم يدع الله شريعته وأمته

ودولته لعبث العابثين ، واهواء الفاسقين ، وهواة التجبر ، حتى يصلوا بها الى هذا الوضع المهين الذى ينادى فيه بعض أهلها بأن يستبدل بشريعة الله غيرها من الشرائع الوضعية ؟ .

ليس من المعقول فى اى عقل أن يحدث ذلك ، والا لكان العبث المحال على الله تعالى جل جلاله .

ولكن هل يتجمع المسلمون بدولهم وحكامهم وشعوبهم المتأخرة فى سرعة لتحقيق حكمة الله وارادته ؟.

والجواب : أن ثلاثين سنة مضت على احتلال فلسطين الذى يعتبر الضربة المفزعة للنائمين . وما زال المسلمون فى أوائل الطريق . نداءات هنا وهناك ، انتفاضات محمومة يقصد بها جذب الأنظار وتنبيه الأفكار ، ثورات غير متعقلة تتجه أحيانا الى موالاة أعداء الاسلام ، وأحيانا الى أعدائهم ، وأحيانا الى بنى الجلدة من المؤمنين ، وحكام يتجمعون هنا للاطاحة بنظام شقيق ، وأموال تنفق على المؤامرات ، وسجون تبتلع من يصرخ بكلمة الحق .. كل ذلك يجرى على أرض الاسلام بلا هوادة ولا رحمة .

والمدلول الحقيقى لهذا الهياج الأحمق : أنه فى نظرنا بداية الطريق الى الصواب ، والا فماذا تنتظر من نائم أو سكران تصدمه بأقصى قوتك على أم رأسه سوى الاضطراب وفقدان الاتزان فى العمل والحركة حتى يعود الى اتزانه .. كانوا نائمين سكارى فصدمهم الله صدمة علنية على أيدى بنى اسرائيل فى دورتهم الثانية التى أشرنا اليها من قبل ففزعوا وهم قليلو البضاعة من الدين ،

خواء من وجدان الايمان ، سكارى بوعود المستعمرين المستعبدين لارضهم وأهليهم .

فبينما يتعلمون فنون الحرب بعد جهل ، وتخزين السلاح بعد العدم ، وتدريب الشباب بعد جهل ، ونشر نور العلم بعد ظلام ، فالغيرة تأكل قلبه ، والخوف يهدم قلبه من أخيه المجاور له فى دولة اخرى ، ومن ثم يشهد البصير سلوك دول الاسلام أمامه من بعيد فيضحك ويمتلىء قلبه بالامل والنور ، لقد صحا العملاق ولكن فى قلوب هزيلة ، وصحا فى دول أخرى فى قلوب كبيرة ومن ثم يبدو التناقض حتى تتمخض هذه الاحداث عن رجل .

رجل يحتمل التبعات الجسيمة لترشيد سلوك الجماهير الغفيرة والهائلة على محجة الاسلام . رجل على مستوى القدرة على انشاء رأى اسلامى عام موحد تجاه الفتن والأحداث التى مزقته على هذه الصورة التى نشهدها . أما انه يفعل ذلك فى يوم وليلة فلا .

رجل يعدل سلوك هؤلاء الحمقى ، ويعيد اليهم الرزانة والطمأنينة .. يؤكد بينهم أخوة الايمان ونسب الاسلام .. رجل يطهرهم من أرجاس الترف ويعيد اليهم بساطة الاسلام .. رجل يزرع فى قلوبهم حب الشهادة فى سبيل الله لا الجرى وراء غنيمة كلب .. رجل يربط بين شعوب الاسلام فى كتلة واحدة كالبنيان المرصوص .. رجل ليس من أهل السياسة لانه سوف يبايع وهو كاره ، ليس ساعيا الى البيعة .. وانما هذا قدره الذى أراده الله له .. وقد يعاونه رجال من الأمة حسب نصوص الأحاديث .

ولكى تستعيد الشعوب الاسلامية لتقبل هذا القائد الجديد لابد من وقت طويل تتقارب فيه القلوب .. أما فى هذه الايام فمن

يدعى ذلك مثله كمثل من يدعى أن يربط صداقة وعهدا بين حى وميت .

فالمهدية اذن ليست سمة شخص معين ، ولا اشارة الي نحلة معينة ، فما كان الرسول صلى الله عليه وسلم عنصريا وهو الذي ضرب العنصرية فى الصميم ، فهى عملية الاصلاح النهائى التى يثبت الله تعالى للعالم من خلالها أنه القاهر فوق عباده ، وأن دينه لابد أن يسيطر على الأمم ، وأنه تعالى اذا قال : (**فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا**) . فلا بد أن ينجز وعده على يد من يشاء من عباده ، وسيقر الأمم على امره ان لم نتفهمه طائعة مختارة . ومتىأنجز الله وعده هذا فان الامم الكبرى سوف تفتح عيونها جيدا على الاسلام ،

فكل من ادعى المهدية كاذب ، وانما فصلنا القول فى الجماعات التى قامت على أساسها حتى تكون ضوءا للمسلمين على طريقهم ، فلا يقعوا فى حبائلهم ، وبين براثنهم .

وسواء كان المصلح العام لأمم الاسلام من آل محمد صلى الله عليه وسلم من الصلب او من غير الصلب ، فآل محمد كل تقى ، ونسب الاسلام فوق كل نسب ، وماذلك الاسم الا صفة له بين جماهير الضالين من أهل الارض ، لاسيما وأن الحديث الصحيح الوحيد فى مسلم لا يشير الى اسم المهدى ، ولا يشير الى شىء سوى أن الله يهيىء لهذه الامة رجلا يسير بها على طريق الله حتى تزول العقبات من طريقهم .

واضراب البخارى ومسلم عن رواية احاديث المهدى له معناه

البعيد ، فلو صح عندهما شيء لروياه ، وهما أكثر الائمة تدقيقا وتمحيصا للأسانيد .

وليس ما حدث في المسجد الحرام أخيرا من احتلال وقتل وتخريب باسم المهدى المنتظر الا صورة من الصور المزرية لهذه الفكرة ، ونرى أنها ليست آخر الرزايا التى سوف تتمخض عنها هذه النحلة ، فهناك المتربصون الذين استبطنوا هذه الفكرة عقيدة وسلوكا ، والله تعالى يحفظ أمته وبيته وحرمه بما شاء وكيف شاء .

أقول : ان الخطر كله يكمن في انتظار رجل يمسك بيده عصا سحرية يشير بها فيصلح حال الأمة على الفور كما جاء في بعض النصوص : « يصلح الله به في يوم وليلة » أو « يصلحه الله في يوم وليلة » . لأن في بعض النصوص الأخرى أنه « يضربهم حتى يرجعوا الى الحق » . وما الاصلاح على طريق الضرب حاصل في يوم وليلة . وليس القول بالعصا السحرية قولا من أقوال الرسول ، بل هو من دعاوى الشيعة العريضة التى نسبت الى الأئمة خصائص العصمة والعلم بالغيب المستقبل وغيرهما من الأسرار التى لا يعلمها غيرهم ، والتى تكمن وراء الأسامى العجيبة التى تطلق على علمائهم بالاضافة الى ما توحى به تلك الأسامى من نزعات الحلول .

ولقد عد صاحب كتاب الآشاعة ، وصاحب الاذاعة دعوى الشيعة الفاطميين من الفتن التى تقع آخر الزمان ، وأوسعهم هجوما ونقدا لاذعا لا يخرج عمّا سردناه .

واظن اننا بعد أن عرضنا للموضوع في أبعاده نقف أمام أدلة نافية وأدلة مثبتة لفكرة المهدى المنتظر ، فليس هناك اجماع على أى طرف من الطرفين . والقاعدة الأصولية هنا هى الحكم العدل .

وهى تؤكد أن مثل هذه القضايا يجمع بين القولين فيها ان أمكن حفظا لوحدة الأمة .

والجمع هنا لا يخرج عن وجود مصلح لأمة الاسلام يعيدها الى صوابها بنفس الوسائل التى أصلح بها رسول الله صلى الله عليــه وسلم الأمة فى بدايتها ، وعلى سنن التدرج الاجتماعى والجهود الانسانية المخلصة التى هى من صميم العمل فى الاسلام ، بل هى العمل الذى كلف به الأمة حتى قيام الساعة مصداقا لقوله تعالى : **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)** . وهذا الأمر قائم وان أهمله المسلمون حتى وقفوا موقف الدفاع لا موقف المجاهد المتصور .

ان أمة الاسلام تخوض هذه المعركة فى بدايتها الآن ، ولكن لم يتهيأ لها الرجل الذى يجمع شتاتها ويقيمها على طريقها .. فليس من المعقول أن تكون عدة المصلح هى بعثرة المال على الناس ، والرســـول صلى الله عليـــه وسلم يقول فى حديثـــه الذى رواه كعب بن عياض عند الترمذى وصححه : « لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتى المال » .

أما أن يقسم المال بين النـــاس بالسوية كما جاء فى بعض الأحاديث فنعم ، وأما أن هذا المصلح أو أغنيـــاء الأمة يبحثون عمن يأخذ صدقتهم فلا يجدون ، فقد فسره بعض السلف بأن السبب هو أن ظلمات الفتن تذهل الناس عن أنفسهم حتى لا يفكرون فى شىء غيرها ، هكذا قال سفيان وابن المسيب .

ان العالم الآن قد بدا ينظر الى الاسلام على أنه قوة عظمى لا يستهان بها ، وان الشباب يتطلع الى من يزوده بالزاد الصالح

للعمل الصالح ، وان الاسلام دين العمل ودين النصر بالعمل لا بالعصا السحرية ، وقد تقرر هذا الأصل فى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان الله قادرا على نصره بلا حرب . ولكنه الأصل الاسلامى الذى تميز به عن كل الشرائع وهو عمران الدنيا والآخرة ، واحراز النصر بالتخطيط والعلم والفكر والعمل المخلص ، لا فى يوم وليلة ولا فى سبع سنين ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتى أمر الله » .



محتويات الكتاب

* * *

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت ٣١٧٤٨٠

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/١٥٩٢

الترقيم الدولى ٩ — ٤٩ — ٧٣١٨ — ٩٧٧

٣٠ قرشا